
الإسلام
دين الحنيفية السمحة


بسم الله الرحمن الرحيم



تأليف

عبد القادر بن محمد العماري

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

إضاءات

قــــال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران].

وقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِيْ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِيْ أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).

وقال ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ؛ عِزّاً يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلّاً يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(٢).

وقال ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ**»(٣).



---

(١) «صحيح مسلم» (٤٠٣)، «مسند أحمد» (٨١٨٨)، «سنن النسائي» (١١٢٤١).

(٢) «مسند أحمد» (١٦٩٨٨) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. «المستدرك» للحاكم (٨٣٢٦) قال الحاكم: هٰذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «التلخيص». «مسند الشاميين» للطبراني (٩٥١)، «سنن البيهقي الكبرىٰ» (١٨٤٠٠).

(٣) «صحيح مسلم» (٣٨٩)، «سنن ابن ماجه» (٣٩٨٦)، «المعجم الأوسط» للطبراني (٧٢٨٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، أحمده سبحانه حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، إلـٰه الأولين والآخرين، المعبود الحق، رب العالمين، يحكم ما يشاء، يقضي ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، رضينا به ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً ونبيّاً، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وخيرته من خلقه، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن اقتفىٰ أثره بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فقد عمّ الأرض جهل عظيم، وغشاها ضلال مبين، وانتشر الشرّ والفساد، وظهر أثر ذٰلك في البلاد والعباد، نظر الله إلىٰ أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب[1]، فبعث الله نبيه محمداً ﷺ علىٰ حين فترة من الرسل، وانقطاع من النبيين، واندراس من العلم والهدىٰ والنور المبين، بعثه وأهل الأرض ما بين أهل كتاب لكتابهم قد حرّفوا، فزادوا

(١) عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّيْ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِيْ يَوْمِيْ هـٰذا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً حَلَالٌ، وَإِنِّيْ خَلَقْتُ عِبَادِيْ حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِيْ مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ؛ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...**» «صحيح مسلم» (٧٣٨٦) و«مسند أحمد» (١٧٥١٩).

ونقصوا، وعبدوا الأحبار والرهبان والصلبان، ومجوس وأمثالهم من عبدة الكواكب والأنواء والأهواء والنيران، وما بين عربٍ من عبدة الأحجار والأشجار والأوثان.

بعث الله محمداً ﷺ بهٰذا الدين القويم، والصراط المستقيم، الشريعة الغرّاء، والحنيفية السمحة، عَنْ أَبِيْ أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَا بِالنَّصْرَانِيَّةِ؛ وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**»[1]، فجاء بتوحيد الله وعبادته، كما جاء بذٰلك مَن قبله من الأنبياء والمرسلين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٨﴾ [الأنبياء]، بعثه الله رحمةً للعالمين بالحنيفيّة السمحة، رسالة إلىٰ عموم الخلق أجمعين، عربهم وعجمهم، إنسهم وجنهم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٨﴾ [سبأ]، بعثه الله بالحنيفية السمحة محجة للسالكين وحجة علىٰ الخلق إلىٰ يوم الدين: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ [النساء].

الحنيفية السمحة ذٰلك الدين العظيم الذي ارتضاه الله للبشرية جمعاء ديناً قيّماً خالداً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال الله سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣].

الحنيفية السمحة ذٰلك الدّين القيّم الذي فيه صلاح البلاد والعباد، وبه إزالة الشرّ والفساد، فيه المبادئ السامية، والأخلاق العالية، والنظم العادلة، والشيم المرضيّة، والقيم الرفيعة العليّة.

الحنيفية السمحة ذٰلك الدّين الذي بدأ غريباً بقلة أتباعه وأنصاره، وكثرة المعرضين عنه والمعادين له، فمضىٰ ﷺ قدماً مجاهداً في طريق الدعوة الشاق الطويل، ففتح الله به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً، فما توفّاه الله إلا وقد أقرّ عينه بنصرته، حتىٰ صار الدّين في عزّة ومنعة، وقوّة وغلبة، وحمل

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٣٤٥) وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٩٢٤).

أصحاب النبي ﷺ الدّين من بعده إلىٰ أرجاء المعمورة شرقاً وغرباً حتىٰ عمها الإسلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]، وعن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ كَلِمَةَ الإِسْلَامِ؛ إِمَّا بِعِزِّ عَزِيزٍ وَإِمَّا بِذُلِّ ذَلِيلٍ**»[1]، ثم ما زال المسلمون في قوة ما تمسكوا بدينهم علماً وعملاً، دعوة وتعليماً، تحاكماً وتحكيماً، ثم دبّ إليهم الخور والضعف والنقص ببعدهم عنه، وتفريطهم فيه، وتضييعهم له، قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، وظهر جلياً قول أنس رضي الله عنه يرفعه إلىٰ النبي ﷺ: «**اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّىٰ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**»[2].

لقد عاد الإسلام غريباً كما بدأ غريباً، عاد غريباً بين أهله؛ غريباً بجهل الناس به، غريباً بإعراضهم عنه، وانصرافهم عن أحكامه، وتركهم لتعاليمه، ونبذهم له، وعزلهم إياه عن نظم الحياة وشؤونها، وصدق النبي ﷺ حين قال: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ**»[3].

إننا ـ معاشر أهل الإسلام وأتباع سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ـ لنفخر كل الفخر، نتشرف كل الشرف بالانتساب إلى هذا الدين العظيم ـ دين الحنيفية السمحة ـ يقول نهار بن توسعة بن أبي عتبان اليشكري:

أَبِـي الإِسْـلَامُ لَا أَبَ لِـيْ سِـوَاهُ   إِذَا افْـتَـخَـرُوا بِـقَـيْـسٍ أَوْ تَـمِـيْـمِ

إن من لم ينل الفخر به والشرف بالانتساب إليه فعليه أن يقف مع نفسه وقفة محاسبة فإن في قلبه شكاً ومرضاً وقلة صدق ويقين. قال الله سبحانه مخاطباً نبيه ﷺ مبيناً له شرفه وشرف من اتبعه واقتدىٰ به، وفخرهم وعزهم

---

(١) «مسند أحمد» (٢٣٨٦٥) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. «صحيح ابن حبان» (٦٧٠١)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الصحيح. «سنن البيهقي الكبرىٰ» (١٨٣٩٩)، «المعجم الكبير» للطبراني (٦٠١).

(٢) «صحيح البخاري» (٧٠٦٨)، «مسند أحمد» (١٢٣٦٩)، «سنن الترمذي» (٢٢٠٦).

(٣) «صحيح مسلم» (٣٨٩)، «سنن ابن ماجه» (٣٩٨٦)، «المعجم الأوسط» للطبراني (٧٢٨٣).

ومجدهم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف]. إنه الشرف والفخر والعز والمجد والسؤدد والسموّ والعلوّ في الأولىٰ والأخرىٰ لكل من اتبعه ورضي به وبما جاء به: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران].

وذوداً عن حياض الحنيفية السمحة، ودفاعاً عن حماها، ونصرة لها، واستمساكاً بها، ولها اتباعاً ـ جعلنا الله ممن حيا بها ومات عليها ـ كان هٰذا الكتاب الذي حوىٰ مواضيع شتىٰ، وعناوين عدة، كتبتها عبر أزمان متعاقبة وفترات متفاوتة، فهو حديقة غناء وروضة فيحاء، يستمتع بها قارئها، وينتفع بها الناظر فيها، نفع الله بها كاتبها وقارئها في الدارين، وجعلها في ميزان حسنات من كتبها، وأعان علىٰ إخراجها بهٰذا الشكل، وغفر الله للجميع.

عبد القادر بن محمد العماري

قطر ـ الدوحة

الإثنين ١٤٣٢/٦/٢٧هـ

الموافق ٢٠١١/٥/٣٠م

أَعَزَّنَا اللهُ بِالإِسْلَامِ

يتنكر للإسلام بعض من ينتسب إليه، بل ويسيء إليه عامداً متعمداً، ويشن حملات شعواء ضد أحكامه ويهاجم كل من يرفع رايته. وادّعىٰ هٰؤلاء من عند أنفسهم مقولات كاذبة إمعاناً في الكفر والنفاق والتضليل مثل مقولة الإسلام السياسي.

هل ثمة إسلام سياسي وإسلام غير سياسي؟ إنهم بذٰلك يريدون أن يجردوا الإسلام من فريضة الجهاد ومقاومة العدوان والدفاع عن المقدسات، وأن يلغوا أحكام الشريعة، ويمنعوا المطالبة بتطبيقها والحكم بما أنزل الله.

أَمَا شَرَعَ اللهُ أحكاماً كاملة شاملة للعبادة والجهاد والحكم؟ أما كان العرب قبائل متنافرة متناحرة متحاربة فيما بينها، لا نظام يجمعهم، ولا دولة تحكمهم، حتىٰ جاء الإسلام وأقام دولته في المدينة بقيادة محمد رسول الله ﷺ، ثم خلفه خلفاؤه الراشدون من بعده؟

أليس هٰذا نظاماً اجتماعياً وسياسياً متكاملاً، مهمته نشر الإسلام في أرجاء الدنيا، وإقامة العدل، وإخراج الناس من ظلمات الجهل والجاهلية إلىٰ نور العلم والإسلام؟

لقد وضع المسلمون الأوائل أسس العدل والمساواة كما أمر الله، ولا زالت كلمة مبعوث الدولة الإسلامية الأولىٰ ربعي بن عامر رضي الله عنه إلىٰ ملك الفرس لما سأله ملك الفرس: ما جاء بكم؟ فقال ربعي رضي الله عنه: «الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلىٰ سعتها، ومن جور الأديان إلىٰ عدل الإسلام»[1].

(١) «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٢/ ٤٠١)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ٤٦ ـ ٤٧).

قد يتساءل البعض هل في الأديان جور؟ نقول: نعم، فالأديان التي كانت سائدة في ذٰلك العصر مع مجيء الإسلام: السماوية منها حرّفت، فادعىٰ الأحبار والرهبان لأنفسهم ما ليس لهم، واستحلّوا أموال الناس وكذبوا وافتروا، قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وأما الدِّيانات غير السماوية فتقوم أساساً علىٰ نظام الطبقات؛ فالمجوسية في فارس والبوذية في الهند تقوم علىٰ التمييز بين البشر، فهناك قبائل دينية تعد نفسها ظل الله في الأرض، وأنهم خلقوا لخدمة الآلهة، فجاء الإسلام وأبطل كل هٰذه المعتقدات الفاسدة، وأقام نظاماً يقوم علىٰ التوحيد والعدل والمساواة.

ومن المؤسف أن يقوم اليوم من أبناء المسلمين وممن يحملون أسماء الصحابة فيتنكرون لهٰذه الرسالة الخالدة باعتناق الأفكار الضالة المعادية للإسلام، ويلتقون مع زملاء لهم في الديانات الأخرىٰ والغاية عندهم هي محاربة الإسلام، ولٰكن هيهات هيهات أن ينالوا منه فإن الله سبحانه قد تكفل بحفظه وبقائه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر]، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف].

وإذا كان هناك من يشكك في هٰذا الدين وينافق في هٰذا العصر فقد سبقهم أمثالهم في عهد الرسالة الأوّل فلم يفلحوا لا هم ولا أصدقاؤهم وأعوانهم من بني إسرائيل، وطمأن الله رسوله ﷺ والمؤمنين معه من كيد الكائدين ومكر الماكرين، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ

ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة].

إن الإسلام هو النور الذي بدّد ظلمات الجهل والكفر والباطل، وأشاع الأمن والسلام بين البشر، لٰكن ماذا نقول للمتهافتين علىٰ موائد العمالة وأكلة السحت الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، ويتجاهلون حقائق التاريخ والوقائع والأدلة الدامغة: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾﴾ [إبراهيم].

لقد جرّبت الشعوب هٰؤلاء الأفّاكين عندما اعتنقوا أفكار ماركس ولينين وأقاموا أنظمة إلحادية لا تؤمن بدين، وقالوا: لا إلٰه، والحياة مادة، وقتلوا علماء الإسلام، وعذبوا المسلمين، وقالوا: إنهم سيقضون علىٰ الفقر بين شعوبهم، فإذا هم يزيدونهم فقراً وفاقة، واليوم هٰؤلاء بأنفسهم ذهبوا إلىٰ أحضان الإمبريالية التي كانوا يحذرون منها ويحاربونها، وذهبوا إلىٰ التعاون مع الصهيونية من أجل تحقيق أهدافها في المنطقة العربية، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة].

إن الإسلام اليوم يتعرض لهجوم شرس من منطلقات مختلفة جمع أصحابها العداء للإسلام، ومن المؤسف أن يتعاون بعض من ينتسب إلىٰ الإسلام معهم عن غفلة أو مصالح آنية أو أسباب شخصية فاتخذوهم أولياء من دون المؤمنين، والله يقول: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران]، وقال سبحانه: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

وعلىٰ ضوء هـٰذه النصوص الصريحة في القرآن كيف يستسيغ مسلم أن يطلب من حكومة السودان التخلي عن تطبيق الشريعة؟ وبماذا نفسر موالاة بعض زعماء المعارضة السودانية ممن ينتسب للإسلام للزعيم السابق لحركة الجنوب جون قرنج النصراني ويرون تسليم القيادة له؟ وبماذا نفسر تعاونهم مع أفاروقي وغيره ممن هم مدعومون من أمريكا وإسرائيل وهم يعلنون صباحاً ومساءً أنهم ضد الإسلام والمسلمين؟ وبماذا نفسر موقف العرب الذين اجتمعوا في كوبن هاغن وتحالفوا مع الإسرائيليين بحجة أنهم يعملون للسلام؟ والواقع أنهم يعملون للاستسلام. وكيف يتحقق السلام مع عدو يحتل الأرض ويعلن أن القدس العاصمة الأبدية لإسرائيل؟ مع أن الشعوب الإسلامية ترفض هـٰذا السلام المزعوم، وتطالب حكوماتها أن تعمل علىٰ تحرير القدس بكل ما أوتيت من قوة. إنه لن يتسنىٰ للمسلمين نيل حقوقهم إلا إذا سلكوا نهج عمر بن الخطاب ﷺ الذي قال وهو يفتح بيت المقدس: «إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله»[1].

وكذا نهج صلاح الدين الذي اعتمد علىٰ الله في كل ما يأتي ويدع من أموره:

جَمَعَ الشَّجَاعَةَ وَالخُشُوعَ لِرَبِّه   مَا أَحْسَنَ المِحْرَابَ فِي المِحْرَابِ[2]

---

(١) «تاريخ دمشق» (٥/٤٤)، «البداية والنهاية» (٧/ ٧٠)، «محض الصواب في فضائل ابن الخطاب» (٢/ ٥٩٠).

(٢) هـٰذا البيت ذكره ابن الأثير وابن الوردي يصفان به نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي من غير أن ينسباه لأحد. انظر: «الكامل في التاريخ» (١٠/ ٥٧)، «تاريخ ابن الوردي» (٢/ ٨١).

«وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ»

بعض المثقفين يتهمون المسلمين بأنهم عاطفيون وينظرون إلىٰ الأمور من منظار ديني فيؤيدون شعباً من الشعوب ضد شعب آخر لمجرد أنهم مسلمون مثلهم لا لأنهم علىٰ الحق أو قضيتهم عادلة، فهم مع المسلم فقط ضد غير المسلم ولو كان المسلم هو الظالم وغير المسلم هو المظلوم، فلا هم يحكمون العقل ولا العدل، ولا حتىٰ مصالحهم السياسية والاقتصادية؛ فهم مع الدين فقط. وهٰذا الاتهام للمسلمين تردّد أخيراً من بعض المثقفين بمناسبة الخلاف بين الهند وباكستان بسبب قضية كشمير.

إن الزعم بأن المسلمين عاطفيون، وأنهم يؤيدون إخوانهم المسلمين بالحق والباطل، وأنهم مع المسلم سواء كان ظالماً أو مظلوماً، وأنهم لا يتحرّون العدالة ولا يراعون مصالحهم، هٰذه كلها أقوال ساقطة؛ ولا دليل عليها من الواقع أو التراث، وهٰؤلاء الذين يسمون أنفسهم عقلانيين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام دين الحنيفية السمحة الذي يدين به المسلمون، ولو عرفوا لعلموا أن الإسلام هو دين العدل والحق. وإذا كنتم أيها العقلانيون لا تعرفون نصوص الكتاب والسنة وهما المنهاج الوحيد للمسلمين فيما يفعلون ويقولون فإننا سنورد لكم هنا بعض آيات كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ لعلكم تعقلون، وتكونون عقلانيين حقيقة لا ادعاء وتزييفاً للعقل والمنطق، فالله سبحانه لم يوجه خطابه إلا لقوم يعقلون، وستجدون ذٰلك في كثير من آيات القرآن الكريم: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ [البقرة]، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١]، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران:١١٨]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف]، فهل بعد هٰذا نقول إن المسلمين عاطفيون لا يحكمون العقل؟ أما تحكيم

العدل ورفض العدوان فاقرءوا إن شئتم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء:٥٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [المائدة]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ [النساء]، ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾ [الأنعام:١٥٢]، ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة:٢]، ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]. فهل رأت الإنسانية مثل هٰذه المبادئ في أي نظام أو قانون؟ وهٰذا الرسول ﷺ يرسخ هٰذه المبادئ في نفوس المسلمين يخاطبهم بقوله: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً**» ـ فيستغربون هٰذا القول فقد كانوا في الجاهلية يتناصرون علىٰ الظلم ـ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ**!** أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُوماً، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»[١].

إنها مفاهيم جديدة لم تعرفها الإنسانية إلا بعد ما جاء الإسلام الذي رفع راية الحق والعدل، وكان رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ينصف من نفسه، ويطلب من رجل من آحاد الناس أن يأخذ حقه ويقتص منه عندما أصابه بقدح كان في يده، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي حِبّانُ بْنُ وَاسِعِ بْنِ حِبّانَ عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَدّلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ قِدْحٌ يُعَدّلُ بِهِ الْقَوْمَ فَمَرّ بِسَوَّادِ بْنِ غَزِيّةَ حَلِيفِ بَنِي عَدِيّ بْنِ النّجّارِ وَهُوَ مُسْتَنْتِلٌ مِنْ الصّفّ وَيُقَالُ: مُسْتَنْصِلٌ مِنْ الصّفّ، فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ وَقَالَ: **اسْتَوِ يَا سَوّادُ**، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْجَعْتنِي وَقَدْ بَعَثَك اللهُ بِالْحَقّ وَالْعَدْلِ، قَالَ:

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٩٥٢)، «صحيح مسلم» (٦٧٤٧)، «مسند أحمد» (١١٩٦٧).

فَأَقِدْنِي. فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَطْنِه، وَقَالَ: **اسْتَقِدْ**، قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ فَقَبّلَ بَطْنَهُ، فَقَالَ: **مَا حَمَلَك عَلَىٰ هَذَا يَا سَوّادُ؟** قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَ حَضَرَ مَا تَرَىٰ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِك أَنْ يَمَسّ جِلْدِي جِلْدَك. فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْرٍ[1]. وكان ﷺ يعلمهم كيف يمارسون العدل في مجتمعهم وينصفون من أنفسهم، فعندما سرقت امرأة من كبار القوم، وأراد أن يقيم عليها الحد، كبر ذٰلك علىٰ أهلها، وحاولوا أن يمنعوا عنها إقامة الحد، ورأوا أن يستعينوا بأحب الناس إليه ﷺ ليشفع فيها وهو أسامة بن زيد رضي الله عنه، وعندما شفع أسامة رضي الله عنه، قال له رسول الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ**». ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ؛ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[2]، وإذا كان بعض المسلمين قد انحرف عن عدالة الإسلام فلا يعد هـٰذا حجة علىٰ المسلمين كافة. أما مراعاة المصالح السياسية أو الاقتصادية فلا يجوز أن يكون ذٰلك علىٰ حساب المبادئ والحق والعدل، فلو أن إحدىٰ الدول طغت وبغت واعتدت علىٰ دول أخرىٰ رأتها ضعيفة فلا يجوز أن نسكت عن ذٰلك لمجرد أن لنا مصالح مع الدول المعتدية، ولا يجوز أن نقدم المصالح علىٰ المبادئ والعدل. والإسلام يأمر أتباعه أن يتضامنوا من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، وأن يتوحدوا ضد أي عدوان علىٰ أي مسلم، وأن يصلحوا ذات بينهم عند أي خلاف، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات]، وقال سبحانه جل في علاه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١]، وأمرهم سبحانه أن يكونوا وحدة متماسكة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ١٧٣ ـ ١٧٤)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٣٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٤٧٥)، «صحيح مسلم» (٤٥٠٥)، «مسند أحمد» (٢٥٣٣٦).

﴿وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ [المؤمنون]، وفي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**»[1]، وقال ﷺ أيضاً: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»[2]، فكيف يقال لنا بعد هٰذا كله: لا تهتموا بأمر إخوانكم المسلمين، واتركوا العاطفة واهتموا بمصالحكم فقط.

إن مصالح المسلمين واحدة، ومن حاول التفرقة بين المسلمين فهو عدو مبين. ونقول للذين يخذلون المسلمين، ويثبطون هممهم، ويفرقون صفوفهم: نخشىٰ عليكم أن تكونوا ممن قال الله سبحانه فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

وأما قولهم عن المسلمين: إنهم مع الدين فقط. فجوابه أن المسلمين ينبغي أن يكونوا كذٰلك؛ لأن الإسلام دين الله هو منهج حياة كاملة يحكم السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع وغيرها من مناحي الحياة، لا كما يتصوره المثقفون العلمانيون الذين يظنون أنه مقتصر علىٰ الشعائر التعبدية. لذٰلك لا عجب أن يكون المسلمون مع الدين فقط ليحكم حياتهم وتعاملاتهم مع أنفسهم والآخرين.



(١) «صحيح البخاري» (٢٤٤٦)، «صحيح مسلم» (٦٧٥٠)، «مسند أحمد» (١٩٦٤١).
(٢) «صحيح مسلم» (٦٧٥١)، «مسند أحمد» (١٨٤٠٤).

تَجْدِيْدُ الدِّيْنِ

ألقىٰ الأستاذ الدكتور محمد عمارة محاضرة بجامعة قطر، بعنوان «اليقظة الإسلامية الحديثة» وكانت محاضرة قيمة، وأثارت مناقشات حيوية ومهمة، إلا أنه لم يكن هناك وقت كاف للأسئلة والاستفسارات والتعليقات التي تسهم في تجلية الموضوع وتزيده ثراء وحيوية، ويستزيد الحاضرون الذين تكلفوا الحضور من أماكنهم البعيدة فائدة وزيادة معرفة. وقد أثير في المحاضرة موضوع حيوي ومهم، إلا أني أشعر أنه لم يعط حقه من النقاش والبحث، وهو موضوع التجديد في الدين، ومجال هٰذا التجديد، وما يقصد به، ورأيت من المناسب أن أسلّط الضوء هنا علىٰ شيء من ذٰلك لأهميته وخطورته. مع أن الأستاذ الدكتور محمد عمارة قادر علىٰ بيان ذٰلك لو سمح له الوقت.

بعض المفكرين يقصد بتجديد الدين إزالة ما علق به علىٰ مدار التاريخ من بدع وخرافات، وما أضيف إليه من عادات، بمعنىٰ صقله وإظهار جوهره، وشبهوا ذٰلك بالسيف الذي علاه الصدأ حتىٰ يكون صقيلاً لامعاً، يؤدي مهمته التي أرادها الله، وإذا كان هٰذا هو المقصود من التجديد فهو مقبول ومعقول، بل وواجب ومُحتَّم إسلاميّاً، وذٰلك يتطلب أن يعي علماء الدين مسئوليتهم فلا ينافقوا الجماهير الجاهلة، ولا يشغلوا أنفسهم بالخصومات، وأن ينبذوا التعصب والجمود، وألا يتنافسوا في إرضاء السلاطين علىٰ حساب الدين، وإذا كان رسول الله ﷺ قد قال: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[1]، فإن المجدد يمكن أن يكون جماعة؛ لأن (**مَنْ**)

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٩٣)، «المستدرك» للحاكم (٨٥٩٢)، قال الألباني: صحيح. انظر: «صحيح الجامع» (١٨٧٤).

هنا تشمل الفرد والجماعة، وفي هٰذا الزمن يتطلب الأمر أن يتكاتف المخلصون من أهل العلم والدين لينهضوا بالأمة علىٰ طريق الإسلام الصحيح المتحرر من الجمود والخمول، لتوجد من المسلمين أمة قادرة علىٰ تحدي الحياة المعاصرة.

غير أن البعض يقصد بالتجديد الذوبان وإزالة الأصل ذاته، وإذا كان المثل أمامنا هو السيف، فإنهم يعنون أن يزاد في الحك والنحت لا لدفع الصدأ فقط حتىٰ لا يكون السيف علىٰ حجمه وقوته؛ بل يكون رقيقاً شديد الرقة، فإذا كان به لمعان فهو خافت وخفيف علىٰ قدر حجمه، لا أثر له ولا تأثير، وقد لا يبقىٰ منه إلا قبضته يمسك بها بعض المسلمين وكأنهم يقبضون علىٰ الجمر، وهم يسمون هٰذا التجديد الأخذ بجوهر الدين، فتصبح شعائر الدين وأركانه من صلاة وصيام وزكاة وحج من الشَّكليّات غير جديرة بالاهتمام وتدخل في نطاق الحرية الشخصية، فيمكن أن يعد مسلماً من لا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا يزكي، وليس من اللازم أن تكون للإسلام دولة تقوم بتنفيذ ما شرعه الله، فلا يقام حد الزنا، ولا حد السرقة، ولا حد الخمر، ولا يُحرّم الرِّبا، وتكون الدولة إما علمانية ليبرالية أو شيوعيّة. وهٰؤلاء الذين يدعون إلىٰ التجديد علىٰ هٰذا النحو يسمون أنفسهم أو يسميهم بعض الناس أصحاب الإسلام المستنير أو اليسار الإسلامي، وقد قاموا بدراسات وظفوها لخدمة العلمانية والشيوعية، وفسروا التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً بحتاً، فقالوا مثلاً: إن الذين آثروا أبا بكر رضي الله عنه بالخلافة علىٰ علي رضي الله عنه إنما هم الأغنياء الذين كانوا يخشون نهجاً اجتماعياً ثورياً تقدميّاً، ووصف بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما أنهم ترويكا، علىٰ غرار الترويكا في الاتحاد السوفيتي، وقالوا: إن كبار الصحابة رضي الله عنهم تمكنوا من جمع الثروات، وخلقوا لأنفسهم مراكز نفوذ للوثوب علىٰ الحكم لأنهم كانوا يتنافسون علىٰ السلطة، وقالوا: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقع في خطأ قاتل حينما تردد في استخدام السلطة، وأن مأساته الحقيقية في الازدواج بين الرغبة في الحكم والتردد عن استخدام السلطة، وكان عليه أن يتصرف كما تصرف النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يناضل من

أجل الحصول علىٰ السلطة، كشرط لتحقيق النظام الجديد الذي يدعو إليه، فلم يتردد في دفع أنصاره إلىٰ اغتيال بعض المعارضين والمناوئين، ولقد وقعت عدة عمليات اغتيال أو عمليات إرهاب ضد بعض الخصوم، كان أبرزها اغتيال كعب بن الأشرف اليهودي الذي أخذ يحرض قريشاً ضد النبي ﷺ، وكان من نتيجة هـٰذه العملية التي سبقتها عمليات أخرىٰ أن أثارت ذعر بعض القوىٰ المناوئة والمتآمرة في المدينة؛ أي: أنهم يريدون من علي رضي الله عنه أن يقتل المسلمين غيلة كما قتل المحارب الكافر اليهودي المرتد كعب بن الأشرف، حتىٰ لا يكون فرقاً بين الصحابة رضي الله عنهم وبين المتصارعين علىٰ السلطة من الشيوعيين، وقالوا: كان علىٰ علي رضي الله عنه أن يشتري من يستطيع شراءهم، ويستخدم السلطة التي حصل عليها لتوزيع بعض المكاسب والغنائم علىٰ ذوي النفوذ، ليدعموه في صراعه ضد معاوية رضي الله عنه، وزعموا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد فعل ذٰلك قبله في صراعه مع المشركين، وأن صراع الرسول ﷺ مع المشركين كان من أجل السلطة التي لولا الحصول عليها لما أمكنه أن ينشر الإسلام ويحوله من عقيدة إلىٰ نظام، وجعلوا من مسألة المؤلفة قلوبهم (تكتيك) و(ميكافيلية).

اتهموا الرسول عليه الصلاة والسلام ـ قاتلهم الله ـ صراحة بتقديم الرشاوي وشراء الذمم، واغتيال خصومه، وتصفيتهم من أجل الحكم، وهم لا يرون في كل ذٰلك بأساً؛ لأن غرضهم من كل ذٰلك مد الجسور بين الشيوعية والإسلام، وهم يرون أنفسهم أنهم أكثر ذكاء من أولـٰئك الذين سبقوهم في الدعوة إلىٰ الشيوعية أو التغريب؛ لأن أولـٰئك الذين هاجموا الإسلام وأعلنوا الإلحاد ففشلوا في دعوتهم بين المسلمين جاءوا ليكسروا باب الحصن من الخارج فعزّ عليهم ذٰلك، ولم يقووا علىٰ كسره، ولا علىٰ مواجهة الحراس الذين يرونهم بوضوح؛ أي: أنهم مكشوفون، وأما هـٰؤلاء فأرادوا أن يتسللوا إلىٰ الحصن خفية، وبإقامة علاقة مع الحراس ليتمكنوا من فتح الحصن، ويمكّنوا الشيوعية وجحافلها من الدخول من بوابة الحصن. غير أن مما أثلج صدور المؤمنين أن بعض حملة هـٰذا الفكر قد رجع عن فكره الممالئ

للشيوعية والعلمانية، وسلك سبيل المؤمنين، وانضم إلىٰ صف الإسلام المبين، وليس غريباً علىٰ من آتاه الله ذكاء وعقلاً وحكمة أن يعود إلىٰ الحق والرشد والهدىٰ، وخاصة إذا كان هو أساساً من أبناء الإسلام، وتربىٰ في أحضان الإسلام، لٰكن المطلوب من هٰؤلاء شرعاً وعقلاً أن يعلنوا ذٰلك كتابة ويبينوه للناس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة]، فما كان من إلحاد وخروج عن الصراط المستقيم والنهج القويم في العلن، ينبغي أن تكون التوبة منه والرجوع عنه كذٰلك في العلن، حتىٰ تتضح الأمور ويستبين سبيل المجرمين المارقين عن الدين، فلا يلتبس غيرهم بهم ممن كان معهم ثم فارقهم ونابذهم بعد أن هداه الله سبحانه.

إن بعض المفكرين يقيسون الإسلام دين الحنيفية السمحة بالنصرانية المحرفة، وهٰؤلاء يعانون أزمة في تفكيرهم، فالإسلام ليس فيه كهنوت وليس فيه أسرار كنسية، بل جاء بقمة الوحدانية، وألغىٰ الرموز والأسرار، وأصبحت النجاة في الدنيا والآخرة بعمل المسلم وحده. كما أننا لسنا في حاجة إلىٰ فلسفات نظرية، فالفلسفات النظرية ولّىٰ عهدها مع أرسطو وأفلاطون، وما حاجتنا من الغرب إلا إلىٰ علوم تجريبية، مع ما لنا فيها من ريادة سابقة، ثم هي ليست بعلوم مسيحية ولا يهودية ولا أمريكية ولا روسية، فالكيمياء والكهرباء والطب لا تنسب إلىٰ دين ولا إلىٰ بلد، ولا إلىٰ شعب، فعلينا أن نفيد من الذين سبقونا فيها بلا فلسفات نظرية، كتلك التي يروج لها التلاميذ الماسونيون الذين يريدون أن يخدعونا بأن الثقافة الإسلامية هي في التصوف المتطرف المتمثل في تراث السهروردي(١) والحلاج(٢)

---

(١) الفيلسوف السيماوي المنطقي، يحيىٰ بن حبش بن أميرك السهروردي، كان يتوقد ذكاء، إلا أنه قليل الدين. وقال ابن أبي أصيبعة: اسمه عمر، كان يتهم بالانحلال والتعطيل، أفتىٰ علماء حلب بقتله، بعد أن أفتوا بكفره. قتل في أوائل سنة سبع وثمانين وخمسمائة. «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٢٠٧).

(٢) الحسين بن منصور بن محمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو مغيث الفارسي البيضاوي =

وابن عربي[1] ليشغلوا المسلمين ويعيدوا عصر السفسطة والجدل العقيم.

إن دين الحنيفية السمحة هو السير علىٰ ذٰلك الطريق القويم والصراط المستقيم الذي سار عليه محمد ﷺ وأصحابه الكرام: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء]، وإظهار تلك المعالم العظيمة والمبادئ الكريمة، والقيم السامية، والشيم العالية لذٰلك الطريق ونشرها، والمساهمة بالفعل أو القول في إحياء ما اندرس من ذٰلك، والدفاع عنه باللسان أو باليد أو بالقلم أو بالمال أو بأي وسيلة كانت، فهٰذا هو حقيقة التجديد في دين الحنيفية السمحة.

إن هٰذه السنة العظيمة سنة التجديد سنة إحياء ما اندرس من معالم دين الحنيفية السمحة ومبادئه، هي في حقيقتها سنة كونية قدرية لا بد من تحققها ووقوعها، وكذا هي أيضاً سنة شرعية مطلوب من الأمّة وخاصة من عندهم الأهلية من أهل العلم والإيمان أن يقوموا بواجبهم وبذل جهدهم في القيام بالدور المنوط بهم حتىٰ يتجدد ما اندرس من معالم دين الحنيفية السمحة.



= الصوفي. والبيضاء: مدينة ببلاد فارس، وكان جده محمي مجوسياً. تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء، ومنهم من نسبه إلىٰ الحلول، ومنهم من نسبه إلىٰ الزندقة، وإلىٰ الشعبذة والزوكرة، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به علىٰ الجهال. بل هو من رؤوس القرامطة، ودعاة الزندقة، ورأس أهل الحلول، أفتىٰ علماء عصره بكفره وقتله. نسأل الله العصمة في الدين. «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣١٣).

(١) صاحب التواليف الكثيرة محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسي ابن عربي، نزيل دمشق. من أردإ تواليفه كتاب «الفصوص» فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، قال عنه العز بن عبد السلام: شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً. توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة. «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٤٨).

الجَمَالُ وَالدِّيْنُ

قال لي أحدهم: لاحظت أن المتدينين ينفرون من الجمال، ويميلون إلىٰ القبح والكآبة، فلا يعتنون بحسن المنظر، ويكرهون التناسق الذي يريح النفس ويدخل عليها السرور، كما أنهم يميلون إلىٰ الخشونة والغلظة والجفاء في مقابلة الناس. قلت: هٰذا محض افتراء ومجرد دعوىٰ، ولسنا في حاجة للرد عليه ولٰكننا ننبه إلىٰ أمر هام أن القرب من الله ﷻ وطاعته ومراقبته هو في حد ذاته جمال؛ بل هو أعظم الجمال؛ لأنه جمال الباطن، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «إن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والعفة والشجاعة، وهٰذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده، وموضع محبته كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»[1]، وهٰذا الجمال الباطن يزيّن الصورة الظاهرة ويحسنها، وإن لم تكن ذات جمال ظاهر، فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يعطىٰ مهابة وحلاوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه، ومن خالطه أحبه، وهٰذا أمر مشهود بالعيان، فإنك ترىٰ الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أجمل الناس صورة وإن كان أسود، أو غير جميل، ولا سيما إذا رزق حظاً من صلاة الليل فإنها تنور الوجه وتحسنه. وأما الجمال الظاهر فهو نعمة أيضاً علىٰ العبد توجب الشكر، فإن شَكَرَ الله وصان هٰذا الجمال بالتقوىٰ والخوف من الله ﷻ ازداد جمالاً علىٰ جماله، وإن استعمل هٰذا الجمال في

(١) «صحيح مسلم» (٦٧٠٨)، «مسند أحمد» (٧٨١٤)، «سنن ابن ماجه» (٤١٤٣).

المعاصي وارتكاب ما حرم الله ﷻ انقلب إلىٰ قبح وشين، فحسن الباطن يستر قبح الظاهر، وقبح الباطن يستر جمال الظاهر، وقد قيل:

يَا حَسَنَ الوَجْهِ تَوَقَّ الخَنَا ... لَا تُبْدِلَنَّ الزَّيْنَ بِالشَّيْنِ

وَيَا قَبِيْحَ الوَجْهِ كُنْ مُحْسِناً ... لَا تَجْمَعَنَّ بَيْنَ قُبْحَيْنِ

قال بعض الحكماء: ينبغي أن ينظر الشخص إلىٰ صورته في المرآة، فإن رأىٰ صورته حسنة لم يشنها بقبح فعله، وإن رآها قبيحة لم يجمع بين قبح الصورة وقبح الفعل. وعن وهب بن منبه، قال داود: يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: مؤمن حسن الصورة. قال: فأي عبادك أبغض إليك؟ قال: كافر قبيح الصورة»[1].

وقيل: كانت عائشة بنت طلحة أجمل نساء أهل زمانها، قال لها أنس بن مالك رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْكِ إِلَّا مُعَاوِيَةَ عَلَىٰ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ: وَالله لَأَنَا أَحْسَنُ مِنَ النَّارِ فِيْ عَيْنِ المَقْرُورِ فِيْ اللَّيْلَةِ القَارَّةِ»[2]. فجمال الصورة خص الله بها بعض خلقه، وهي من زيادة الخلق، قال تعالىٰ: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر:١]، قالوا: هو الصوت الحسن والصورة الحسنة. والقلوب مطبوعة علىٰ محبة الجمال، ومفطورة علىٰ استحسان كل شيء جميل، وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِيْ قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**[3]»[4].

إنك أيّها القارئ الكريم تجد كثيراً في كتب السلف والخلف من الشعر

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٣٢٠).

(٢) «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر (٦٩/ ٢٥١).

(٣) «صحيح مسلم» رقم (٢٧٥)، «مسند أبي عوانة» (٨٥)، «شعب الإيمان» للبيهقي (٦١٩٢).

(٤) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (١٢١ ـ ٢٢٤) بتصرف.

الذي فيه الإشادة بالجمال، فمن ذٰلك ما ذكره أيضاً الإمام ابن القيم أيضاً عن عبد الملك بن قريب المعروف بالأصمعي قال: كنت في بعض مياه العرب فرأيت فتاة وردت الماء، ما رأيت مثلها قط في حسن وجهها، وتمام خلقها، فلما رأت تشوُّف الناس إليها أرسلت برقعها، فكأن غمامة غطت شمساً، فقيل لها: لم تمنعين النظر إلىٰ وجهك هـٰذا الحسن؟ فأنشأت تقول:

وَكُنْتَ مَتَىٰ أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَاشِداً ... لِقَلْبِكَ يَوماً أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ
رَأَيتَ الَّذِيْ لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

ونظر إليها أعرابي، فقال: أنا والله ممن قَلَّ صبرُه، ثم قال:

أَوَحْشِيَّةَ العَيْنَيْنِ أَيْنَ لَكِ الأَهْلُ ... أَبِالحَزْنِ حَلَّوْا أَمْ مَحَلُّهُمُ السَّهْلُ
وَأَيَّةُ أَرْضٍ أَخْرَجَتْكِ فَإِنَّنِيْ ... أَرَاكِ مِنَ الفِرْدَوْسِ إِنْ فُتِّشَ الأَصْلُ
قِفِيْ خَبِّرِيْنَا مَا طَعِمْتِ وَمَا الَّذِيْ ... شَرِبْتِ وَمِنْ أَيْنَ اسْتَقَلَّ بِكِ الرِّجْلُ
لِأَنَّ عَلَامَاتِ الجِنَانِ مُبِيْنَةٌ ... عَلَيْكِ وَأَنَّ الشَّكْلَ يُشْبِهُهُ الشَّكْلَ
تُنَاهِيْنَ حُسْناً فِيْ النِّسَاءِ فَإِنْ يَكُنْ ... لِبَدْرِ الدُّجَىٰ نَسلٌ فَأَنْتِ لَهُ نَسْلُ[1]

ومع هـٰذا فكل شيء في الشريعة مقيد بغايته، وفي إطار ما أباحه الله وأحله، فالجمال محبب للنفوس، معظم في القلوب، وما يبعث الله نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت[2]، وأعظم جمال هو جمال الأخلاق، وقد اختص الله نبينا محمداً ﷺ بأعظم الجمال في الخَلْق والخُلُق، فصلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

ودين الحنيفية السمحة بعث به ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، وأعظم مكارم الأخلاق الإحسان في عبادة الخالق سبحانه الذي يلزم منه الإحسان في معاملة الخلق، فالإحسان في عبادة الخالق يلزم منه الإحسان في معاملة الخلق، فكان التمسك بتعاليم هـٰذا الدين العظيم دين الحنيفية السمحة، هو أعظم علاج لحال البشرية جمعاء.

---

(١) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (٢٢٧).

(٢) «الشمائل المحمدية» (٣٢٠) عن قتادة، وحسنه الألباني في «المختصر».

أَيْنَ المُسْلِمُونَ مِنْ تَعَالِيْمِ القُرَآنِ؟!

آيتان من القرآن الكريم أرست قواعد في الأخلاق والآداب والسلوك، أنزلها الله سبحانه لتكون دستوراً في حياة المسلمين، يسيرون علىٰ منهاجها في سلوكهم مع الناس ومع بعضهم بعضا. فالآية الأولىٰ قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [الحجرات]. قيل نزلت هـٰذه الآية في الأقرع بن حابس أو في وفد من الأعراب يجهلون أبسط قواعد السلوك الإنساني[1]، وما زالت المجتمعات الإسلامية تعاني من هـٰؤلاء الأجلاف الذين لا يتقيّدون بسلوك العقلاء، وتتّسم تصرفاتهم بالفوضىٰ والإزعاج وعدم الاحترام لمشاعر الآخرين، فكل ما يهمهم أن ينالوا هدفهم بأسرع طريق مع عدم الاكتراث بالنتائج المترتّبة علىٰ تصرفاتهم، ولو أن المسلمين التزموا بالتوجيه القرآني في هـٰذه الآية، وتسلّحوا بالصبر والأناة للوصول إلىٰ أهدافهم، ورفضوا سلوك أهل التّرف والمتعجلين في الأمور والفوضويين والسطحيين الأجلاف الذين لا يعرفون غير الخشونة وعدم التعقّل في معالجة الأمور لرأينا الحال غير الحال.

والآية الثانية قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات]، وهي تنبّه إلىٰ خطر إثارة البلبلة ونشر الإشاعات في المجتمع، والطعن في الناس واتهامهم وإدانتهم قبل التثبت في التحقق من صحة الخبر مما يؤدي إلىٰ أمور في غاية الخطورة يكون بعدها النّدم والخزي، وكل ذٰلك بسبب الإصغاء لأكاذيب

---

(١) ينظر: «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٢٨٣ وما بعدها).

الفساق، قال العلماء في سبب نزول هـٰذه الآية: إن الوليد بن عقبة بن معيط أرسله الرسول ﷺ إلىٰ بني المصطلق من أجل تسلم الزكاة لأنهم أسلموا وطلبوا من الرسول ﷺ أن يرسل إليهم من يتسلم زكاتهم ويحضرها إليه، فأرسل الوليد، وبسبب الإحن التي كانت بينه وبينهم أو خوفه منهم عندما رآهم أقبلوا رجع من الطريق قبل أن يكمل مهمته، وأخبر الرسول ﷺ أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد ليتأكد مما قاله الوليد، فوجدهم متمسكين بالإسلام، وسمع أذانهم وصلاتهم، وأبدوا استعدادهم لدفع الزكاة، وتبين خطأ الوليد بن عقبه رضي الله عنه[1]. وفي هـٰذه الآية وضع الإسلام قاعدة وهي وجوب التثبت والتحقق من الأخبار خاصة تلك التي تتناول أعراض الناس أو تتعلق بالمصالح العامة، فالرسول ﷺ هنا في قضية بني المصطلق أرسل خالد بن الوليد ليطمئن علىٰ ولائهم للإسلام، وقيامهم بواجباتهم، واستعدادهم لدفع ما عليهم من زكاة لدولة الإسلام، ولم يعتمد ما تعتمده التقارير السريّة لأجهزة المخابرات كما هو الحال في العصور الحديثة.

إن هـٰؤلاء الذين ينشرون الإشاعات الكاذبة والافتراءات الآثمة عن المؤمنين ويؤذونهم بترويج الإشاعات عنهم، ألا يعلمون أنهم سيكونون في موقف لا ينفع فيه مال ولا بنون، ولا جاه ولا سلطان؟! كيف يرضون لأنفسهم أن يتحملوا البهتان والإثم العظيم؟! قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب]، قال ابن كثير في تفسير هـٰذه الآية: «البهت البين أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه، علىٰ سبيل العيب والتنقص لهم، ومِنْ أكثر مَنْ يدخل في هـٰذا الوعيد الكفرةُ بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد بَرَّأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله ﷻ قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهـٰؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم ويتنقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٧٠ ـ ٣٧٢)، «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢٢/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨).

فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة منكوسو القلوب يذمون الممدوحين، ويمدحون المذمومين.

وعن أبي هريرة، أنه قِيْلَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الغِيْبَةُ؟ قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». قِيْلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِيْ أَخِيْ مَا أَقُوْلُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيْهِ مَا تَقُوْلُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[1]. وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيُّ الرِّبَا أَرْبَىٰ عِنْدَ الله؟**» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**أَرْبَىٰ الرِّبَا عِنْدَ الله اسْتِحْلَالُ عِرْضِ امْرِئٍ مُسْلِم**»[2]، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب]»[3].

إن من أعظم الأذىٰ لأخيك المسلم أن تقول عنه أنه سرق، أو زنىٰ، أو أنه مسجون في جريمة، وتنشر هٰذه الإشاعة، فكم يا ترىٰ من الإثم والبهتان قد ارتكبت وتحملت؟ ومن هٰذا القبيل قصة الإفك المشهورة في التاريخ الإسلامي التي روَّج لها المنافقون في المدينة، وهي إشاعة كاذبة أرادوا بها أن يؤذوا رسول الله ﷺ باتهام أحب زوجاته إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات في آيات كريمات من القرآن العظيم تتلىٰ إلىٰ قيام الساعة، وهٰذه الآيات هي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ

---

(١) «صحيح مسلم» (٦٧٥٨)، «مسند أحمد» (٨٩٧٣)، «سنن أبي داود» (٤٨٧٦)، «سنن الترمذي» (١٩٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٦).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣١٥٣)، «شعب الإيمان» للبيهقي (٦٧١١)، وذكره البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٥٣٧٠): هٰذا إِسْنَادٌ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيح. وفي «مسند أحمد» (١٦٥١) بلفظ: «**مِنْ أَرْبَىٰ الرِّبَا الِاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ مُسْلِم بِغَيْرِ حَقٍّ**» قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غيرَ نوفل بن مساحق، وكذا في «سنن أبي داود» (٤٨٧٨). وفي «المستدرك» للحاكم (٢٢٥٩) بلفظ: «**الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَاباً أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ، وَإِنَّ أَرْبَىٰ الرِّبَا عِرْضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِم**» قال الحاكم: هٰذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في «التلخيص». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٣٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٨٠ ـ ٤٨١) بتصرف.

وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور].

إن ترويج الإشاعات لزعزعة المجتمع الإسلامي دائما يأتي من المنافقين ولذٰلك كشفهم الله وهددهم بالقضاء عليهم، قال ﷻ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب].

لقد اعتاد المجتمع الجاهلي مساوئ كثيرة أنكرها الإسلام دين الحنيفية السمحة لما بعث به محمد ﷺ، ومن تلك المساوئ السخرية من النّاس والتنابز بالألقاب، وسوء الظّن، وأكل لحوم الناس، وفي ذٰلك نزل قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات]. فالسخرية من الناس والتنابز بالألقاب من سمات السفهاء وأهل الفسوق.

وقال بكر بن عبد الله المزني: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْظُرَ العُيُوبَ جَمَّةً فَتَأَمَّلْ عَيَّاباً، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُعِيبُ النَّاسَ بِفَضْلِ مَا فِيْهِ مِنَ العَيْبِ. وقال ﷺ: «**يُبْصِرُ**

أَحَدُكُمُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَىٰ الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ»[1]. وقيل: مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ عَنْ عُيُوبِ غَيْرِهِ[2].

وينسب لمحمود الوراق:

لَا تَكْشِفَنَّ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوْا	فَيَكْشِفُ الله سِتْراً عَنْ مَسَاوِيْكَا
وَاذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوْا	وَلَا تَعِبْ أَحَداً مِنْهُمْ بِمَا فِيْكَا

وقيل سبب نزول الآية الكريمة التي تنهىٰ عن السخرية واللمز والتنابز: إن رجلاً من الصحابة ﵃ قال لصحابي آخر: يَا ابْنَ فُلَانَةَ؛ اسْتِهْزَاءً، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يُعَيِّرَهُ بِأُمِّهِ»[3]. وعيّرت بعض نساء النبي ﷺ زَوجَتَهُ صَفِيَّةَ ﵂، قَالَتْ لَهَا إِحْدَاهُنَّ: أَنْتِ يَهُودِيَّة بِنْت يَهُودِيَّيْنِ، وَلَمَّا شَكَتْ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ، قَالَ لَهَا: «**قُولِيْ لَهُنَّ أَبِيْ هَارَونُ، وَعَمِّيْ مُوسَىٰ، وَزَوْجِيْ مُحَمَّدٍ**»[4]. وَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ عَنْهَا: أَنَّهَا قَصِيْرَةٌ. فَقَالَ الرَّسُوْلُ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا البَحْرُ لَمَزَجَتْهُ**»[5]. وقيل في سبب النزول: إن الوفد الذي جاء أفراده وهم الذين نادوا الرسول ﷺ من وراء الحجرات استهزؤوا بفقراء

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٥٧٦١) قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح غير كثير بن عبيد. «شعب الإيمان» للبيهقي (٦٧٦١)، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٣١).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/ ٣٢٧).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٠)، «صحيح مسلم» (٤٤٠٣)، «مسند أحمد» (٢١٤٦٩).

(٤) «مسند أحمد» (١٢٤١٥) بلفظ: «عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: إِنِّي ابْنَةُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: **مَا شَأْنُكِ؟** فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي ابْنَةُ يَهُودِيٍّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنَّكِ ابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ**، فَقَالَ: **اتَّقِي اللهَ يَا حَفْصَةُ**» قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين. «سنن الترمذي» (٣٨٩٤)، «صحيح ابن حبان» (٧٢١١)، وصححه الألباني في «صحيح مشكاة المصابيح» (٦١٨٣).

(٥) «مسند أحمد» (٢٥٦٠١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. «سنن أبي داود» (٤٨٧٧)، «سنن الترمذي» (٢٥٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٤٠).

الصحابة ﭫ مثل عمَّار وخبَّاب وابن فهيرة وبِلَال وصهيب وسلمان وسالم مولىٰ أبي حذيفة وغيرهم ﭫ لِمَا رَأَوا من رَثَاثَةِ حَالِهِمْ، وقال مجاهد: هي سخرية الغني من الفقير[1].

أما قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات]، فتتعلق بالمساواة بين البشرية، وأن الميزان الذي يوزن به الناس في دين الحنيفية السمحة هو تقوىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

قال القرطبي: «ذكر أبو داود في سبب نزول هٰذه الآية أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَ بَنِيْ بَيَاضَةَ أَنْ يُزَوِّجُوا أَبَا هِنْدٍ امْرَأَةً مِنْهُمْ، فَقَالُوا لِلرَّسُولِ ﷺ: نُزَوِّجُ بَنَاتِنَا مَوَالِيْنَا؟ فَأَنْزَلَ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ...﴾ الآية[2]... قال ابن عباس ﭬ: لما كان يوم فتح مكة أمر النبي ﷺ بلالاً حتىٰ علا علىٰ ظهر الكعبة فأذن، فقال عتاب بن أسيد: الحمد لله الذي قبض أبي حتىٰ لا يرىٰ هٰذا اليوم. قال الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هٰذا الغراب الأسود مؤذناً؟ وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً يغيره. وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء، فأتىٰ جبريل النبي ﷺ فأخبره بما قالوا فدعاهم، وسألهم عما قالوا، فأقروا، فأنزل الله هٰذه الآية، فزجرهم

(١) ينظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/ ٣٢٤ ـ ٣٢٩).

(٢) «سنن أبي داود» (٢١٠٤)، «المستدرك» للحاكم (٢٦٩٣) قال الحاكم: هٰذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في «التلخيص». «صحيح ابن حبان» (٤٠٦٧) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. «السنن الكبرىٰ» للبيهقي (١٣٥٥٦)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير (٣/ ٣٥٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٩٦)، ذكر الحديث دون ذكر سبب النزول ودون زيادة «نُزَوِّجُ بَنَاتِنَا مَوَالِيْنَا». لٰكن ذكره البيهقي فقال: وَزَعَمَ الزُّهْرِيُّ فِيْ هٰذه القِصَّةِ أَنَّهُمْ قَالُوْا: يَا رَسُولَ الله تُزَوِّجُ بَنَاتِنَا مَوَالِيْنَا. فَأَنْزَلَ الله ﷻ: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾. «معرفة السنن والآثار» للبيهقي (١٣٦٨٥)، وكذا ذكره أبو الحسن ابن القطان الفاسي في كتابه «بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام» (٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، وهو من مراسيل الزهري ﬀ.

عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدراء بالفقراء، فإن المدار علىٰ التقوىٰ، الجميع لآدم وحواء وإنما الفضل بالتقوىٰ. وفي الترمذي عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عَيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ كَرِيمٌ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ مَهِينٌ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ**»[١]، وخطب النبي ﷺ بمنىٰ في وسط أيام التشريق وهو علىٰ بعير فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ، أَبَلَّغْتُ؟** قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: **لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**»[٢]، وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيْ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عز وجل لا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَامِكُمْ وَلا إِلَىٰ أَحْسَابِكُمْ وَلا إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ صَالِحٌ تَحَنَّنَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وأَحَبُّكُمْ إِلَيَّ أَتْقَاكُمْ**»[٣]. ومن الشعر المنسوب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمْثِيْلِ أَكْفَاءُ ... أَبُـــوهُـــمُ آدَمُ وَالأُمُّ حَـــوَّاءُ

---

(١) «مسند أحمد» (٨٧٢١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. «سنن أبي داود» (٥١١٨)، «سنن الترمذي» (٣٢٧٠) «شعب الإيمان» للبيهقي (٥١٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٨٢).

(٢) «مسند أحمد» (٢٣٥٣٦) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمي (٥٦٢٢)، «إتحاف الخيرة المهرة» للبوصيري (٢٦١٤) قال البوصيري: رواه مسدد، ورجاله ثقات. وصححه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص١٤٤)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٠٠).

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٣٤٥٦)، قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عبد الحميد بن يحيى الحماني، وهو ضعيف. «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمي (١٧٧١٧)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٥٦١٣)، لٰكن خرّج مسلم رحمه الله الجزء الأول منه، وهو: «**إِنَّ اللهَ لَا ينظر إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَلٰكن ينظر إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ**» «صحيح مسلم» (٦٧٠٧).

نَـفْـسٌ كَـنَـفْـسٍ وَأَرْوَاحٌ مُـشَـاكَـلَـةٌ	وَأَعْـظُـمٌ خُـلِـقَـتْ فِـيْـهِـمْ وَأَعْـضَـاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ حَسَبٌ	يُـفَـاخِـرُوْنَ بِـهِ فَـالـطِّـيْـنُ وَالـمَـاءُ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ	عَلَىٰ الْهُدَىٰ لِمَنِ اسْتَهْدَىٰ أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلُّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ	وَلِلـرِّجَالِ عَلَىٰ الأَفْعَالِ سِيْمَاءُ
وَضِدُّ كُلُّ امْرِئٍ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ	وَالْجَاهِلُوْنَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ[1]

ويا ليت أهل العلم قد سلموا من النواقص التي تؤخذ علىٰ الجهل، فنحن نرىٰ المهاترات والمشاحنات وطعن بعضهم بعضاً، باسم العلم والدين، والتباري في الفخر واللمز، والاختلاف فيما لا طائل تحته حتىٰ أحدثوا البلبلة بين العوام والشباب، فهلَّا اتعظوا بالآيات القرآنية التي في سورة الحجرات؟ فدين الحنيفية السمحة دين المثل العالية، والأخلاق السامية.

نسأل الله سبحانه بمنِّه وكرمه أن يرينا الحقَّ حقّاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/ ٣٤١ ـ ٣٤١) بتصرف.

العِلَاجُ النَّاجِعُ

يقول الدكتور محمود يوسف عبده في مقال منشور له عن المعجزة الصوتية للقرآن: «أثبتت التجارب المبدئية البحثية وجود أثر مهدئ مؤكد للقرآن في ٩٧٪ من التجارب التي أجريت، وهٰذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فيسيولوجية تدل علىٰ تخفيف درجة توتر الجهاز العصبي التلقائي. وتفاصيل هٰذه النتائج المبدئية عرضت علىٰ المؤتمر السنوي السابع عشر للجمعية الطبية الإسلامية في أمريكا الشمالية والذي عقد في مدينة سانت لويس بولاية ميزوري». والواقع أن أولٰئك الذين يعتادون ارتياد المساجد في أحيائهم ويؤدون الصلوات في جماعة، ويقرؤون القرآن عندما يحضرون للصلاة بتدبر وأناة ينفعون أنفسهم في دنياهم وأخراهم، فإن هٰذه الفترة التي يقضيها المسلم في المسجد كفيلة بتبديد كل توتر تسببه له مشاكل الحياة سواء في البيت أو محل عمله، فهو يشعر بالاطمئنان النفسي والراحة النفسية، وتتجدد طاقته لتحمل أعباء الحياة وتسمو روحه، وترتفع فوق كل ما في هٰذه الدنيا مما يسبب له التوترات والمنغصات، فلا تقوىٰ هٰذه الأسباب علىٰ فرض ضغط نفسي عليه تفقده المقاومة فينهار ويسقط صريعاً بفعل هٰذه الضغوط، إنه يؤمن أن هٰذه الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة، ويؤمن أنه لن يصيبه إلا ما كتب له، وأن عليه العمل وليس عليه النجاح، فالنجاح والفشل من تقدير الله سبحانه، فإذا أحسن هو العمل فقد توفرت له أسباب النجاح، والأمر موكول بعد ذٰلك إلىٰ من بيده الأمر من قبل ومن بعد، ويؤمن أنه لو اجتمع الناس كلهم علىٰ أن يضرّوه بشيء لن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوه بشيء لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له.

والمسلم إذا تردد علىٰ المساجد وتدبر آيات الله، وقابل إخوانه المسلمين

في المسجد، وتعززت بينه وبينهم روابط الأخوة الروحية شدّ ذٰلك من أزره، وازداد إيمانه قوة وصلابة، لذٰلك فمن نعم الله عليك أن يكون بجوارك مسجد تتردد إليه في اليوم خمس مرات، إنها سعادة ما بعدها سعادة.

إن الذين ينكفئون علىٰ أنفسهم في بيوتهم، ويقطعون علاقتهم بالله فلا يتدبرون آياته، ولا يدخلون بيته إنهم ضحايا لمغريات هٰذه الدنيا الفانية، فتملكهم ولا يملكونها، وتقهرهم ولا يقهرونها، وقد تتغلب عليهم مشاكل الحياة فيحاولون الهروب منها بتعاطي المسكرات والمخدرات فيحطمون أجسامهم وعقولهم ثم يغادرون هٰذه الحياة وهم تعساء فيها، ويَقْدُمُون إلىٰ حياتهم الأخرىٰ مُثْقَلِين بالمعاصي، وفقراء من الأعمال الصالحة فيخسرون الدنيا والآخرة.

ولعل الاقتراح الذي قدم في مؤتمر أمناء الطب الإسلامي باستانبول بإقامة عيادات خاصة للمدمنين ملحقة بالمساجد تنطلق من دور المسجد في تهذيب الناس واستقامة الأخلاق؛ جدير بالاهتمام، فنرجو أن يكتب لهٰذا الاقتراح الحظ في التنفيذ في بلاد المسلمين.

وقد أثبت الواقع أن الذين يهرعون إلىٰ الصلاة في المساجد ويقضون فيها جزءاً من أوقاتهم بعيداً عن هموم الحياة، هم أقل الناس تعرضاً لأمراض العصر مثل أمراض القلب وارتفاع السكر والضغط وغير ذٰلك من الأمراض التي انتشرت في العالم اليوم.

فإلىٰ المسجد يا رجال الأعمال فإن فيه العلاج الناجع لمشاكلكم وأمراضكم، عليكم بالإقبال علىٰ تعاليم الحنيفية السمحة، والتزود من النبع الصافي والمورد العذب الزلال، إلىٰ الوحي المبين، القرآن العظيم وما صح من سنة النبي الكريم والصادق الأمين ﷺ، فالرجوع إلىٰ هذين المصدرين والتمسك بهما سبب لنيل سعادة الدارين، قال العظيم سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]. فتمسكنا بالوحيين علماً وعملاً يوصلنا إلىٰ ما كان عليه أسلافنا الذين ظهرت عليهم تعاليم دين الحنيفية السمحة جليّة، وهٰذا هو العلاج الناجع لسائر هموم حياتنا ومشاكلها.

مِنْ هُنَا نَبْدَأُ فِيْ تَطْبِيْقِ الشَّرِيْعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

نشرت بعض الصحف أن أحد منتجي الأفلام في مصر ذبح عجلين علىٰ باب الأستوديو لطرد الأرواح الشريرة؛ لأنه يعتقد أن المنتجين الآخرين حسدوه بعد أن تمكن من جمع فنَّانتين متميزتين في الفيلم الذي ينتجه المسمىٰ (النشالات الفاتنات)، وذٰلك لأنه لاحظ أن بعض العاملين مرضوا أثناء قيامهم بالتمثيل، فمن الممثلات من أصيبت بنوبة برد، ومنهن من أصيبت بانهيار عصبي، ومنهن من أصيبت بحساسية. وتقول الصحيفة التي نقلت الخبر: «أنه بعد أن ذبح المنتج العجلين لم يصب أحد من العاملين في الفيلم بأي مرض حتىٰ تم إخراج الفيلم، فذبح العجلين حقق الهدف منه بإبعاد الإصابة من المرض».

المفترض أن منتج الفيلم رجل مثقف، لا يؤمن بالخرافات والخزعبلات، ومن المؤسف أن نرىٰ كثيراً من المثقفين والمتعلمين، وبعضهم من يحمل دكتوراة في الشريعة أو الفلسفة وغير ذٰلك من العلوم، يؤمنون بمثل هٰذه الخرافات والخزعبلات التي لا يقرها شرع ولا يقبلها عقل.

وفي مجلة آخر ساعة في العدد (٢٦٤٢) المؤرخ ٢٤/رمضان ١٤٠٥هـ يحكي لنا رجل يدعىٰ د. محمد مصطفىٰ حلمي عن الصوفي عمر بن الفارض[١] أموراً لا يصدقها العقل، مثل أنه يرىٰ مكة من القاهرة، وكذٰلك

(١) ابن الفارض شاعر الوقت عمر بن علي بن مرشد الحموي ثم المصري صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به قصيدته التائية. توفي سنة اثنتين وثلاثين، وله ست وخمسون سنة، روىٰ عن القاسم بن عساكر، حدث عنه المنذري. فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوىٰ، وأعذنا من الهوىٰ. توفي في جمادىٰ الأولىٰ، وقد حج وجاور، وكان بزنق الفقر، وشعره في الذروة لا يلحق شأوه. «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٦٩).

شيخه البقّال[1] الذي أطلع ابن الفارض علىٰ السر، وأن ابن الفارض كان يعيش بين الوحوش في أودية مكة، ثم استدعاه شيخه البقّال بعد ست عشرة سنة قضاها في مكة، وكان اتصاله به عن طريق الاتصال الروحي الغيبي، وأنه سمعه من مكة يقول له: احضر يا عمر، ويورد الدكتور هٰذه المعلومات بطريقة تدل علىٰ إيمانه بصدقها.

وفي تحقيق لآخر ساعة في العدد رقم (٢٦٣٨) المؤرخ ٢٥/ شعبان ١٤٠٥هـ عن صناديق النذور: «أن رجلاً فقيراً ذبح عجلاً للشيخ عندما أنجبت زوجته بعد عشرة أعوام من العقم، وآخر اقتطع من معاش أولاده بضع جنيهات لعدة شهور ليوفي نذراً للشيخ، وبعض النساء بعن مصوغاتهن ليوفين بنذر للشيخ، فتدخل صناديق النذور ملايين الجنيهات ولا يدخل منها شيء لجيوب الفقراء، وأن أكثر هٰذه الأموال تذهب إلىٰ جيوب من يسمون خلفاء وحاملي المفاتيح من أهل الطرق الصوفية». وكثير من هٰؤلاء مثقفون وبعضهم أساتذة في الجامعات، وتجد من العلماء من يقر مثل هٰذه الخرافات أو يسكت عنها، وحتىٰ المسئولون من العلماء في السلطة لا يحاولون إرشاد الناس إلىٰ الطريقة الصحيحة لتقديم صدقاتهم، ولم أجد علىٰ ـ حد علمي ـ من انتقد هٰذه الخرافات من كبار العلماء في العصر الحديث في مصر إلا الشيخ محمود شلتوت رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما يفعل في مصر يفعل أيضاً في كثير من مناطق العالم الإسلامي؛ كالشام والعراق وباكستان والهند واليمن وغيرها.

ونقول لأولٰئك ولهٰؤلاء: إن تطبيق الشريعة الإسلامية الذي يطالب به كثير من المسلمين اليوم يبدأ من تصحيح العقيدة، ورسول الله ﷺ أول ما جاء بالإسلام بدأ بالعقيدة. وقد يقول قائل: إن أولٰئك الذين كانوا في أيام

---

(١) يوسف بن علي بن أحمد، أبو الحجاج ابن البقال البغدادي: صوفي، من الحنابلة. كان شيخ رباط «المرزبانية» ببغداد، وقبره بتربة الإمام أحمد، ولما حدثت واقعتها مع المغول كان بمصر. توفيٰ ليلة الخميس سادس المحرم سنة ثمان وستين وستمائة، له تصانيف، منها «سلوك الخواص». «المقصد الأرشد» لابن مفلح (٣/ ١٤٣)، «الأعلام» للزركلي (٨/ ٢٤٢).

الرسول ﷺ مشركون ويعبدون الأصنام، أما هٰؤلاء فهم مسلمون يعبدون الله ويعتقدون أنه هو النافع والضار. ونقول لهٰؤلاء: إن المشركين الذين يعبدون الأصنام دخلوا في معارك مع رسول الله ﷺ من أجل الاحتفاظ بأصنامهم وعقائدهم الخرافية؛ وكانوا أيضاً يعترفون بالله، ويعتقدون أنه الخالق الرَّازق، النَّافع والضَّار، المحيي المميت، المدبر لأمر الكون المتصرف فيه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس]، وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣]، وإنك لتجد أيها القارئ الكريم رحمك الله أن شرك المشركين في عهد النبي ﷺ يقتصر علىٰ حال الرخاء، أما في الشدائد فيلجأون إلىٰ الله سبحانه، يدعونه ويسألونه كشف ما بهم من الضراء كما ذكر الله ذٰلك في كتابه عنهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت]، وهٰذا بخلاف ما عليه من صرف العبادة لغير الله من الأولياء والصالحين في هٰذا الزمان، فصرفهم لها لغير الله يشمل الرخاء والشدة، والشرك هو الشرك إن حصل في الرخاء أو الشدة أو في كليهما، لٰكن بعضه أشد من بعض.

أليس الذبح عبادة والدعاء عبادة والاستغاثة عبادة؟ والله سبحانه يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]. ألم يقل رسول الله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»[1]؟ أليس ذبح العجول والخراف لطرد الأرواح الشريرة أو للأولياء هو ذبح لغير الله؟ إذا كانوا يقولون بأنهم لا يقصدون من الذبح أو النذر للجن أو الأولياء، وإنما يقصدون الصدقة، فلماذا إذن يذهبون إلىٰ الأضرحة، أو يقصدون أماكن معينة؟ فهل لا تجوز الصدقة إلا بواسطة الأضرحة؟ أليس ذبح العجل علىٰ باب الأستوديو هو ذبح من أجل الجن؟

إن صفاء العقيدة وتحقيق التوحيد لا يعني أن العبد إذا كان يعتقد أن الله هو النافع الضار، الخالق الرازق، المحيي المميت، المتصرف في الكون المدبر لأمره، لا يضيره بعد ذٰلك صرفه نوعا من العبادة لغير الله سواء كان ذبحاً أو نذراً أو استغاثة أو استعانة أو استعاذة ونحو ذٰلك من أنواع العبادات التي لا تصرف إلا لله وحده، ليس هٰذا هو غاية التوحيد، وليس هٰذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأنزلت لأجل تحقيقه الكتب، هٰذا نوع من التوحيد وهو توحيد الربوبية، توحيد الله في أفعاله وتفرّده بذٰلك، وهٰذا لا يكاد ينكره أحد من حيث الجملة، بل الأمم باختلاف نحلهم ومللهم يقرون به، والآيات السابقة دالة نصاً علىٰ أن المشركين في عهد النبي ﷺ كانوا مقرين به، إنما الخلاف بين الرسل وأقوامهم حصل في إثبات توحيد الألوهية، توحيد الله بأفعال العباد، وهٰذا هو معنىٰ كلمة الإخلاص والتوحيد، كلمة لا إلٰه إلا الله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، كلمة التوحيد نفي وإثبات، نفي الألوهية عما سوىٰ الله، وإثباتها لله وحده، قال سبحانه عن إمام الحنيفية إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا

---

(١) «صحيح مسلم» (٥٢٣٩)، «مسند أحمد» (٨٥٥)، «سنن النسائي» (٤٥١١).

تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف]. إن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ولأجل هٰذا لما أدرك المشركون الأول معنىٰ كلمة التوحيد والإخلاص أنكروا: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص]، فمن آمن بالله ربّاً وخالقاً ورازقاً لزمه إفراده بالعبادة فلا يصرف منها شيئاً لغيره سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]، فدلل سبحانه علىٰ توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية، وذكره قبله لأنه كالأصل والمقدمة له، إثباته يلزم منه إثبات الألوهية، قال الله سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس].

لقد استمعت في إحدىٰ الإذاعات العربية إلىٰ حديث ديني لأحد المشايخ يبرر فيه هٰذه الخرافات، ويقول: إن الله قد عصم هٰذه الأمة من الشرك(١).

(١) يخالف قول هٰذا الشيخ صريح صحيح السنة، فمن ذٰلك ما ذكره المؤلف من أحاديث فيها النهي عن الوقوع في الشرك والحذر من سلوك الأمم السابقة ممن اتخذوا القبور مساجد، وكذٰلك مما يدل علىٰ خطأ القول بأن الأمة معصومة من الشرك ما جاء عن أَبِيْ هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَىٰ ذِي الْخَلَصَةِ**». وَذُو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. «صحيح البخاري» (٧١١٦)، «صحيح مسلم» (٧٤٨٢)، ومن ذٰلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ**. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: **وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولـئك**». «صحيح البخاري» (٧٣١٩)، «مسند أحمد» (٨٢٩١)، ومن ذٰلك أيضاً =

ونقول لهٰذا الشيخ: ألم يحذرنا رسول الله ﷺ وهو في مرضه الذي مات فيه مما كانت تعتقده النصارىٰ في عيسىٰ ابن مريم وأمه من ألوهية؟ فعن أم المؤمنين عَائِشَةَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ وَهْوَ كَذَلِكَ: **لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»[1]. وفي حديث آخر عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِداً**». قَالَتْ: وَلَوْلَا ذَلِكَ لأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[3]. وصحَّ عنه ﷺ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ**

= عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ**». «مسند أحمد» (٢٢٥٠٥) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. «المستدرك» للحاكم (٨٣٩٠) قال الحاكم: هٰذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين. ووافقه الذهبي في «التلخيص». «سنن أبي داود» (٤٢٥٤)، «سنن الترمذي» (٢٢١٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٣)، وغير ذٰلك من الأحاديث الدالة علىٰ وقوع الشرك في الأمة، وأما الحديث الذي يستدل به من ينفي وقوع الشرك في جزيرة العرب فهو ما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِيْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلٰكن فِيْ التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**» فإنه لا يعارض الأحاديث السابق ذكرها الدالة علىٰ وقوع الشرك في الأمة وفي جزيرة العرب خصوصاً، بل جمع العلماء بينه وبينها بأنه إما أن يكون يأساً من الشيطان ويأسه ليس بمعصوم فقد يقع ولا يقع كما أن رجاءه كذٰلك، أو أن يقال المراد به وقوع الأمة قاطبة في الشرك وهٰذا محال لوجود الطائفة المنصورة، بل إننا نرىٰ في هٰذا الزمان وجود من يعبد الشيطان علىٰ الحقيقة وفي جزيرة العرب وهم من يسمون بعبدة الشيطان، وتسمىٰ بظاهرة الإيمو، فكيف يقال أن الشرك لا عودة له في جزيرة العرب؟ نسأل الله العفو والسلامة.

(١) «صحيح البخاري» (٤١٧)، «صحيح مسلم» (١٢١٥)، «مسند أحمد» (٢٥٩٥٨).

(٢) «صحيح البخاري» (١٣٣٠)، «صحيح مسلم» (١٢١٢)، «مسند أحمد» (٢٤٥٥٧).

(٣) موطّأ مالك (٤١٤)، «مصنف ابن أبي شيبة» (١١٩٤١)، وعند أحمد بلفظ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِيْ وَثَناً، لَعَنَ اللهُ قَوْماً اتَّخَذُوْا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». «المسند» (٧٣٥٢) =

قُبُوراً، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِيْ عِيداً، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِيْ حَيْثُ كُنْتُمْ»[1]، وَعَنْ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: سمعت النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: **«إِنِّيْ أَبْرَأُ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يَكُونَ لِيْ مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدِ اتَّخَذَنِيْ خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِيْ خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّيْ أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»**[2].

ومن المعلوم أن سبب الشرك هو الغلو في الصالحين، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح]، قال: صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وُدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجُرُفِ عِنْدَ سَبأ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لآلِ ذِي الْكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَاباً وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ، عُبِدَتْ»[3]. وجاء في «الصحيحين» عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ، فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

= قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي. وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٧٥٠).

(١) «مسند أحمد» (٨٧٩٠) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. «سنن أبي داود» (٢٠٤٤)، «شعب الإيمان» للبيهقي (٤١٦٢)، «مصنف عبد الرزاق» (٧٦٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٢٦).

(٢) «صحيح مسلم» (١٢١٦)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٧٦٢٨)، «مسند أبي عوانة» (١١٩٢).

(٣) «صحيح البخاري» (٤٩٢٠).

«أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، ـ أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ـ بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِداً وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»[١].

إن ما يفعله بعض المسلمين اليوم من خرافات أكثره منقول من طقوس النصارىٰ والفرس والهنود الوثنيين، ولا ينكر أحد ممن درس عادات الأمم السابقة وأديانها أن فيها كثيراً مما يفعل في بلاد المسلمين اليوم باسم الدين والتصوف، وكل ما نطالب به أن تصفىٰ عقائد المسلمين، وأن يقوم علماء المسلمين بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهم المنكرات وأعظمها التي يجب إزالتها وتحذير المسلمين منها هي التي تتعلق بالعقيدة؛ لأن تصحيح العقيدة هو الأساس، ولن يكون هناك إصلاح ولا حكم إسلامي صحيح إلا إذا صححنا عقائد المسلمين، فهٰذا منتج الفيلم الذي ذبح العجلين لو أن عقيدته الإسلامية صحيحة، وتربىٰ عليها وفهمها علىٰ وجهها الصحيح ما ذبح العجلين علىٰ باب الأستوديو، وتبعاً لذٰلك أيضاً لن ينتج أفلاماً فيها خلاعة ومجون لأنها تتعارض مع تحقيق العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتصحيح العقيدة مرتبط بالتصحيح الاجتماعي، وخليفة السيد البدوي الذي يتقاضىٰ آلاف الجنيهات من الفقراء سيذهب يعيش من عرق جبينه لو أن عقيدته وعقيدة أولٰئك الفقراء صحيحة. والله يقول الحق ويهدي السبيل.



(١) «صحيح البخاري» (٤٢٧)، «صحيح مسلم» (١٢٠٩)، «مسند أحمد» (٢٤٢٩٧).

عَلَيْنَا الاتِّبَاعُ لَا الابْتِدَاعَ

استمعت إلىٰ أحاديث وقصائد من تلفزيون إحدىٰ الدول العربية عن سيرة النبي ﷺ، ولٰكن استغربت أن تصدر عبارات من أشخاص المفترض أنهم مثقفون ثقافة إسلامية يميزون بين ما يجوز قوله شرعاً وما لا يجوز. ففي تلك القصائد والكلمات عبارات فيها استغاثات وتوسلات لا يجيزها الشرع، فرسول الله ﷺ لا يريد من أحد أن يناديه كما ينادىٰ رب العالمين، أو يطلب منه كما يطلب من الله، بل أمر رسول الله ﷺ أن يفرد الله وحده بالعبادة، وأدلة ذٰلك كثيرة طافحة في كتاب الله أو فيما صح عن رسول الله ﷺ، فمن الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]، وفي السنة عن جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ**»(١)، وغير ذٰلك مما صح عنه ﷺ.

ولا شك أن أولٰئك يريدون بأحاديثهم وقصائدهم مدح الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام؛ ولٰكن في إمكانهم أن يقولوا ما شاءوا في صفاته، فأمامهم شخصية جمعت كل فضائل البشر ومحاسنهم، فشمائله لا تعد ولا

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٩)، «مسند أحمد» (١٥٢٣٧).

تحصىٰ، ولا يستطيع أي كاتب أو شاعر أو خطيب أن يستقصيها، وعندما وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ قالت: «**كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ**»(١)؛ أي: أن تصرفاته ومعاملاته ﷺ مع الخالق والمخلوقين علىٰ نهج القرآن، والله سبحانه جعل عنوان المحبة وبرهانها في اتباعه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمرن].

فإذا كنا صادقين في محبة الله ورسوله ﷺ فعلينا الاتباع لا الابتداع، ومن الابتداع بل من الشرك أن نجعل للرسول ﷺ ما اختصه الله لنفسه، أو أن نخاطب الرسول ﷺ كما نخاطب الله سبحانه وتعالى.

كيف نطلب من الرسول ﷺ أن يغيثنا والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف]، وقوله جل في علاه: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨]، وفي الحديث الصحيح لما نزلت آية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] قال رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ** - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مَنَ اللهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً**»(٢).

إنني أستغرب وأمامنا هٰذه الآيات الكريمات وهٰذه الأحاديث الصحيحة ثم ينحرف بعض المسلمين إلىٰ أمور ليست من الإسلام في شيء، وإنما هي

---

(١) «صحيح مسلم» (١٧٧٣)، «مسند أحمد» (٢٥٣٤١).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٧٥٣)، «صحيح مسلم» (٥٢٥).

من دخيلة من الديانات المحرفة وبعض الفلسفات الضالة، فالغلو ليس من دين الإسلام، ولا هو من شأن المسلمين الأوائل، ولهـٰذا قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء]، وفي الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[1]، وفي الحديث الصحيح أيضاً عن عَائِشَةَ وَعَبْد اللهِ بْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قَالَا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[2].

فالرسول عليه الصلاة والسلام وهو يستقبل الموت يخشىٰ علىٰ أمته أن تقلد النصارىٰ في تقديس قبره بعد موته، ويحذرهم أن يفعلوا مثل ما فعل اليهود والنصارىٰ بقبور أنبيائهم، ولأن سبب الشرك عندما بدأ في قوم نوح ما حكاه ابن عباس رضي الله عنهما من نصب تماثيل الصالحين وصورهم في المجالس لتذكرهم، فلما طال الزمن عبدوا من دون الله سبحانه[3]، وهكذا الأمور تبدأ صغيرة لا يُرىٰ فيها شيء، ثم تترسخ وتتضخم وتصعب إزالتها بعد أن تتحول إلىٰ عقائد راسخة في الناس، وتوجد لها التبريرات والأعذار ممن يحبون المجاملات أو يستفيدون منها مادياً أو أدبياً، ويتعلق بها العوام والجهلة باعتبارها من عادات وتقاليد آبائهم وأجدادهم، وهكذا قال أهل الجاهلية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [لقمان: ٢١].

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٤٥)، «مسند أحمد» (١٥٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٣٥)، «صحيح مسلم» (١٢١٥)، «مسند أحمد» (١٨٨٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٤٩٢٠)، وقد تقدم ذكره في الموضوع السابق.

وأشد من يحافظ علىٰ الانحراف والتمسك بالقديم ولو كان غير صحيح هم المترفون، حتىٰ لو تبين لهم الحق، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزخرف].

فالمسلم الحق هو الذي يهتدي بهدي القرآن والسنة الصحيحة فيما يقول ويفعل، ويضع نصوص الشريعة بين عينيه عندما يريد الإقدام علىٰ عمل، أو يقول رأيه في أمر من الأمور، ويجب أن ينظر إلىٰ العادات والتقاليد بمنظار الإسلام، فما وافق منها الإسلام أبقاه، وما خالفه منها ألغاه، والله ﷻ لن يحاسبه علىٰ مخالفة العادات والتقاليد، وإنما سيحاسبه علىٰ مخالفة أمره أو أمر رسوله ﷺ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

والإسلام فيه أوامر وفيه نواه، فالأوامر تجب مع الاستطاعة والنواهي تترك بإطلاق، ففي الحديث الصحيح: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[1].

فالواجب علىٰ المسلم أن يتجنب الشبهات، وخاصة الشبهات التي تتعلق بالعقيدة لأن شبهات العقيدة تؤدي إلىٰ الشرك، والشبهات الأخرىٰ تؤدي إلىٰ الحرام أو المعصية، والشرك أعظم من المعصية التي تتعلق بالجوارح، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

فإذا كنت مستغيثاً وداعياً فادعُ الله ولا تستغث بمخلوق، ولا تدع مخلوقاً مهما تكن درجته عند الله، فالله سبحانه أمر بأن يُوحّد ولا يُشرك به شيء، فلا يجوز للمخلوق أن يجعل بينه وبين خالقه واسطة، فالله سبحانه لا يحتاج إلىٰ

(١) «صحيح البخاري» (٧٢٨٨)، «صحيح مسلم» (٣٣٢١)، «مسند أحمد» (٧٣٦١).

واسطة، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، وقال ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[(١)].

إن الاتباع في أمور الدين والعقيدة هو الواجب والمحمود، وأما الابتداع في ذٰلك فهو غير جائز ومذموم، بل جاء النهي عن المعصوم ﷺ عنه: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»[(٢)]. في رواية مسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[(٣)]. وفي نظم جوهرة التوحيد[(٤)]:

وكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَف ... وَكُلُّ شَرٍّ في ابْتِدَاعِ مِنْ خَلَفْ
فَتَابِعِ الصَّالِحَ مِمَّنْ سَلَفَا ... وَجَانِبِ الْبِدْعَةَ مِمَّنْ خَلَفَا

أباح لنا الإسلام دين الحنيفية السمحة أن نبدع في أمور الدنيا، أما أمور الدين فعلينا الاتباع لا الابتداع، فَرُكْنَا العبادة اللذان لا تقبل إلا بهما، هما: الإخلاص والمتابعة، الإخلاص لله سبحانه، والمتابعة لرسول الله ﷺ، فلا نعبد إلا الله وحده، ولا نعبده إلا بما شرعه: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) «مسند أحمد» (٢٧٦٣) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح. «سنن الترمذي» (٢٥١٦)، «إتحاف الخيرة المهرة» للبوصيري (٧١٣٢)، «المعجم الأوسط» للطبراني (٥٤١٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٦٩٧)، «صحيح مسلم» (٤٥٨٩)، «مسند أحمد» (٢٦٠٧٥).

(٣) «صحيح مسلم» (٤٥٩٠)، «مسند أحمد» (٢٥٥١١).

(٤) نظم جوهرة التوحيد لبرهان الدين إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني نسبة إلىٰ (لقانة) من البحيرة بمصر توفي ١٠٤١هـ. ونظم جوهرة التوحيد من المتون المنظومة في العقيدة الأشعرية، والأشاعرة من الطوائف التي خالفت أهل السنة في مسائل من المعتقد منها الإيمان والأسماء والصفات والنبوات ونحوها، ومع ذٰلك لا شك أن فيها من المعاني الحسنة كالبيتين المذكورين.

الشَّرِيْعَةُ الخَالِدَةُ

إن بعض الكتّاب عند المطالبة بتطبيق الشريعة وتحكيمها يدندن بأن ذٰلك سيسبب فتنة، ويعود بنا إلىٰ العصر الحجري علىٰ حسب زعمهم: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

إن الإسلام دين الحنيفية السمحة، وهو دين الله إلىٰ العالمين، والدعوة إليه واجبة، والشريعة الإسلامية هي الإسلام نفسه، وعلىٰ المسلمين تطبيقها في حياتهم، وأنها ليست مقتصرة علىٰ الحدود والعقوبات بل هي نظام شامل لحياة الإنسان. والمجتمع الذي تظلله الشريعة هو مجتمع العدل والكفاية. وليس في تطبيق الشريعة أي فتنة، وإنما الفتنة في تنحية الشريعة وعدم تطبيقها والحيلولة بين المسلمين وتطبيقها، الفتنة في منع المسلمين أن يقيموا حياتهم علىٰ أساس من دينهم وشرعهم القويم دين الحنيفية السمحة الذي بعث به سيد البشرية محمد ﷺ، ولا يجوز أن يتسلط البعض علىٰ المسلمين ويتحكم فيهم بآرائه، ويفرض عليهم نظماً بعيدة عن دينهم، ويسمح للفساد أن يستشري، ويفتح بيوت الدعارة وحانات الخمور في كل شارع من ديار المسلمين.

إن تطبيق الشريعة معناه قطع دابر الفساد الذي استشرىٰ في جسم الأمة بجميع أشكاله وألوانه، وليس هناك إسلام سياسي وإسلام غير سياسي، فالإسلام واحد وهو المهيمن علىٰ سائر الرسالات الأخرىٰ والناسخ لها، وما أتت به الرسالات من الخير كاليهودية والنصرانية ففي شرعنا مثله وزيادة، والمسلمون مأمورون بتصديق واحترام جميع الأنبياء والمرسلين وذٰلك من أسس عقيدة المسلمين، فليس مسلماً من لم يؤمن بأن موسىٰ رسول الله وكليمه، وليس مسلماً من لم يؤمن بأن عيسىٰ رسول الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم العذراء البتول.

إننا ـ معشر المسلمين ـ ليس لنا أن نتخلىٰ عن شريعتنا من أجل سواد عيون أهل الفتنة ودعاتها، وعلينا أن نتصدىٰ لكل من يريد أن يمنعنا من ممارسة حقنا في إقامة حياتنا علىٰ أساس من ديننا، غير أننا نؤمن بأنه يجب حقن الدماء، وعدم الدخول في مصادمات مع الحكّام إذا كان ذٰلك مدعاة لتحصيل مفسدة أعظم من ردّ الحق إلىٰ نصابه؛ انطلاقاً من الإسلام نفسه، فقد أوصىٰ رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام بالسمع والطاعة لمن تولىٰ أمرنا ما حكّم فينا شريعة الله، فقال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ** ﷻ»[1]، وأوصانا ﷺ بالصبر علىٰ جور الحكّام الظلمة، ومعالجة الأمر بالحكمة واللين؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ؛ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: **لَا مَا صَلَّوْا**»[2] وفي حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «**لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ. وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئاً تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَداً مِنْ طَاعَةٍ**»[3]، وفي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْراً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[4]. ودعا الإسلام إلىٰ مناصحة من ولّاه الله أمر المسلمين، لٰكن بحيث لا يترتّب علىٰ

---

(١) «مسند أحمد» (٢٧٣٠٣) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. «سنن الترمذي» (١٧٠٦)، «سنن ابن ماجه» (٢٨٦١)، قال الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٨١٩): صحيح.

(٢) «صحيح مسلم» (٤٩٠٦)، «مسند أحمد» (٢٦٥٧١)، «سنن أبي داود» (٤٧٦٢)، «سنن الترمذي» (٢٢٦٥).

(٣) «صحيح مسلم» (٤٩١٠)، «مسند أحمد» (٢٤٠٤٥).

(٤) «صحيح البخاري» (٦٦٤٥)، «صحيح مسلم» (٤٨٩٧).

المناصحة مفسدة أعظم، ومن أعظم ما يدل علىٰ وجوب النصيحة ما جاء في الحديث الصحيح: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ** . قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: **لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[1]، وقال ﷺ في حديث آخر: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثاً وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثاً، يَرْضَىٰ لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»[2]، وقال ﷺ في حديث صحيح أيضاً: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مِنَّا حَدِيْثاً فَحَفِظَهُ حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُ؛ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيْهٍ، ثَلَاثٌ لَا يُغَلُّ عَلِيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَداً: إِخْلَاصُ العَمَلِ لله، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الأَمْرِ، وَلُزُوْمِ الجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيْطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**»[3]، وطاعة ولاة الأمور واجبة ولٰكنها إنما تكون في المعروف فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَىٰ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»[4].

وهٰذا الذي ذكرناه إنما هو في أمر الحاكم المسلم الذي يحكم بكتاب الله، وأما من حكم القانون الوضعي واستبدل شرع الله فهٰذا ليس بولي للمسلمين،

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٠٥)، «مسند أحمد» (١٦٩٨٢)، «سنن أبي داود» (٤٩٤٦)، «سنن النسائي» (٧٨٢٣).

(٢) «الأدب المفرد» للبخاري (٤٤٢)، «الموطأ» لمالك (١٧٩٦)، «مسند أحمد» (٨٧٨٥) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢)، وأخرجه مسلم (٤٥٧٨) لٰكن من دون ذكر: «**وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ**».

(٣) «مسند أحمد» (٢١٦٣٠) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. «شعب الإيمان» للبيهقي (١٧٣٦)، «المستدرك» للحاكم (٢٩٥)، وله (٢٩٤) بلفظ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والطاعة لذوي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**» قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في «التلخيص». «سنن الترمذي» (٢٦٥٨)، «سنن ابن ماجه» (٢٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٦٦).

(٤) «صحيح البخاري» (٢٧٩٦)، «صحيح مسلم» (٤٨٦٩) «مسند أحمد» (٤٦٦٨).

وولايته عليهم باطلة، وليس له طاعة، بل يجب عليهم عزله ما أمكن.

إن علىٰ الحكام اليوم أن يتيحوا الفرصة لدعاة الإسلام في الدعوة إلىٰ الله، ويفسحوا لهم المجال للتحدث في أجهزة الإعلام، ويسمحوا لهم بتشكيل تنظيمات وهيئات تعمل لنشر العلم والخير والهدىٰ والنور، ونحن واثقون أنه إذا أتيحت هـٰذه الفرصة ستقتنع الأغلبية المتعلمة والفاعلة في المجتمع بوجوب تطبيق الشريعة.

إن المطالبة بتطبيق الشريعة ليس مثاراً للفتنة كما يدندن البعض، وأيضاً ليس فيه ضرر علىٰ وحدة البلاد بسبب وجود أقليّات يهودية أو نصرانية أو غيرها، فوجود تلك الأقليات في مجتمع إسلامي ليس مبرراً لرفض حكم الإسلام ونبذ الشريعة، بل إن حكم الإسلام ينبغي أن يجري علىٰ المسلم وغير المسلم، لتُحَرَّرَ الأرض كل الأرض من عبادة العباد إلىٰ عبادة رب العباد، وليسود حكم الإسلام جميع الأرض، قال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة]. وقد رأينا كثيراً من النصارىٰ اعتنقوا الإسلام عن اقتناع فكانوا أتباعاً للمسيح حقيقة. والإسلام هو الذي دعا إلىٰ الوحدة كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

وقد كان الأقباط موجودين في مصر أيام الخلافة الإسلامية ولم يعتدِ عليهم المسلمون، ولم يظلموا ولم يضطروا للهجرة من بلادهم كما اضطر الآن كثير من الناس في عهد الحريّات والديمقراطيات.

إن القول: بأن تطبيق الشريعة يؤدي إلىٰ الحكومة الدينية التي تحكم بالحق الإلـٰهي الذي أدىٰ إلىٰ مفاسد في التاريخ، وإلىٰ حكم رجال الدين المتستر بالجهالة وإساءة استخدام السلطة، أو أن المقولة السياسية سوف ترتدي زيّاً كهنوتيّاً متّشحاً بالعقيدة الدينية غير القابلة للمناقشة مما يؤدي إلىٰ

إيقاف الحوار السياسي وإبطال مفعوله، وإعلاء شأن الموقف الواحد، وأن قبوله يعني رضا الرب ورفضه يعني الكفر وإقامة الحد إلىٰ آخره. . . هٰذه كلها مقولات لا تنطبق علىٰ الإسلام، فالإسلام لا يعرف الحكومات الدينية التي تحكم بالتفويض الإلٰهي، وإنما هناك بيعة وشورىٰ، واجتهاد فيما يصح فيه الاجتهاد، فلا قداسة إلا لوحي السماء، وقد انقطع الوحي بوفاة الرسول ﷺ، فليس لأحد كائناً من كان أن يدعي أن كلامه هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكل قول غير منصوص أو مجمع عليه قابل للمناقشة، ولا يقول أحد: إن حكم الإسلام هو حكم المشايخ والعمائم، ولم يكن في تاريخ المسلمين أن تولىٰ المشايخ الحكم وتصريف الأمور كما تولىٰ ذٰلك رجال الكنيسة.

إن المعرفة والعلم والإخلاص في العمل وإتقانه هي المؤهلات لمن يتولىٰ منصباً في حكم الإسلام، وأفعال الناس ليست حجة علىٰ الإسلام بل الإسلام هو الحجة علىٰ الناس. وما جرىٰ في تاريخ المسلمين من أخطاء لا يلزم أن تتكرر؛ فالشعوب جميعاً لها أخطاء في تاريخها، ومرت بفترات انحطاط، وإذا وجد المصلحون المخلصون وانتشر الوعي ساد العدل وتحققت الأهداف، وإذا كان هناك من استغل الإسلام لتحقيق أطماعه، واستبد وطغىٰ وبغىٰ وانحرف بالدين عن مقاصده، فإن هناك من استغل التقدم في العلوم لإشعال الحروب بين الشعوب؛ ومع كل ذٰلك ليس في تاريخ الإسلام عشر معشار ما شهدته أوروبا من تعسف وظلم واستغلال في تاريخها. فإذا استغل الكهنة دين المسيح وحرفوه فما ذنب المسيحية؟ وإذا استغل بعض المشايخ الإسلام فما ذنب الإسلام؟

إن الإسلام يتميز بأن له كتاباً محفوظاً لم يدخله التحريف ولا التزييف علىٰ مر العصور فهو حجة الله علىٰ العالمين، وهو منذ أن أنزل علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام إلىٰ اليوم يعلن الدعوة إلىٰ العدل والأمن والحرية المنضبطة؛ وذٰلك هو ما تتطلع إليه الشعوب اليوم.

إن الديانات المحرفة والمناهج الأرضية جميعها أبدت فشلها في إصلاح

الشعوب وليس للشعوب منهج في إصلاحها ونجاحها إلا الحنيفية السمحة التي بعث بها محمد ﷺ، إنها شريعة الإسلام التي إذا سادت وحُكِّمت حصل العدل والأمان والسلامة، وبعد هٰذا كيف للشعوب الإسلامية أن تمنع من المطالبة بتطبيق الشريعة وتحكيمها، إنه الجور والشطط والجهل.



إِفْلَاسُ الشُّيُوعِيَّةِ وَالرَّأْسَمَالِيَّةِ

في الفترة من ١٥ ـ ٢٠ يناير ١٩٨٦م عقد في نيويورك مؤتمر الاتحاد الدولي للكتاب، حضره سبعمائة كاتب ومفكّر من خمسة وأربعين دولة غربية وشرقية، ويقال: إنه لأول مرة في التاريخ يجتمع فيه هٰذا العدد الضخم من الكتّاب، وهو المؤتمر السابع والأربعون منذ أسس الاتحاد الدولي للكتاب سنة ١٩٢١م بلندن، وكما جاء في التقرير الذي نشر في الصحف العالمية ونقلته بعض الصحف العربية أن الموضوع الذي ناقشه المؤتمر هو قضية (خيال الكاتب وخيال الدولة) وهو موضوع غامض كما يرىٰ القارئ لا يعلم المراد منه بالتحديد، ولٰكن الذي يهمنا هنا هو ما جاء علىٰ لسان الكاتب الألماني جونتز جراس: «إن حياتنا المعاصرة تتميز بفشل الأيدولوجية الحاكمة، وبإفلاس كل الوعود البرّاقة التي منتنا بها الحكومات، ولقد أصبح واضحاً الآن مدىٰ الإرهاق والعنت الذي تعانيه الدولة الشيوعية داخل أسوار السجن الرهيب الذي حبست نفسها فيه رغم أنها لا تزال تحتفظ بقوتها المادية في تزايد مستمر، كما أصبح واضحاً من الجانب الآخر مدىٰ ما تعانيه الرأسمالية المنهكة وهي تتخبط من أزمة إلىٰ أزمة أخرىٰ. إن أي إنسان لا يزال يعتقد أن أسلوب الحياة في أمريكا هو الأسلوب الأمثل لا بد أن يكون إنساناً غبيّاً، أو منافقاً، أو أعمىٰ حتىٰ يتغابىٰ عن الفقر المدقع الذي يطحن بعض أحياء أمريكا، والمجاعة التي تهدد العالم». ويقول هاين مولر وهو كاتب من ألمانيا الشرقية: «إن الحكم الأمريكي يبدو بعيداً عن الواقع مثل الحلم الشيوعي تماماً، أنتم تؤمنون بالمال، ونحن نؤمن بالمذهب، ولذا فإن كلينا يرزح تحت حلم ثقيل». وقال: «إن أسلوب الحياة في أمريكا يشبه الرسوم المتحركة الملونة، ولهٰذا فإن الجمهور الأمريكي يستجيب فقط للصور المثيرة، ولا تهزه

الكلمة الجادة الهادئة»، وقد أيده في ذٰلك الروائي الأمريكي الشهير أرثر ميللر، الذي قال عن الفن الأمريكي: «إنه صور ممسوخة للحياة والموت ولا صلة له بالواقع»، وقال: «إن الصورة التي يعكسها التليفزيون الأمريكي للحياة تتسم بالتفاهة والسطحية والتبسيط الموغل في السذاجة»، ويقول كاتب آخر من المجر: «إن الدولة كثيراً ما تجد نفسها سجينة الكراهية الناتجة عن التعصب والأيدولوجيات والمذاهب الجامدة».

وهناك ملاحظة جديرة بالتسجيل، ولفت النظر إليها، وهي تتعلق بالمرأة وبمساواتها بالرجل، فعلىٰ الرغم أن الغرب والشرق يتبنىٰ عدم التفرقة بين الرجل والمرأة، إلا أن طبيعة الأشياء أحياناً تفرض نفسها، ويتبين وجه الحق من غير قصد، ومع هٰذا يكون الإصرار علىٰ الخطأ.

لقد لاحظت أحد العضوات في مؤتمر الاتحاد الدولي للكتاب أن نصف مندوبي المؤتمر من النساء، ومع ذٰلك لم يختر منهن للاشتراك في حلقات النقاش سوىٰ عشرين كاتبة فقط من بين مائة وأربعين مشتركة، فاحتجت علىٰ ذٰلك، فكان الرد من ناحيتين، أولاً: تخلف عدد من المدعوات، وثانياً: أن الرجال يختلفون عن النساء في أنهم مفكرون أولاً، وشعراء وروائيون ثانياً، ولهٰذا كان من الطبيعي أن يكون عددهم أكبر في حلقات النقاش الفكري، فقامت النساء بثورة ولم يسكتها إلا القول بأنه لا يقصد بهٰذا الرد اتهام النساء بالقصور الفكري أو عدم القدرة علىٰ نقاش القضايا الفكرية.

وبعد، فإن فشل النظامين الرأسمالي والشيوعي في إسعاد البشرية قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك، فالرأسمالية أطلقت العنان للفرد ليستغل ويعربد علىٰ حساب الآخرين، والشيوعية كبتت الحريات، وسحقت الفرد وأهانته من أجل السلطة وهيمنتها، فهل هناك نظام وسط يحقق مصلحة الفرد والجماعة ويقيم العدل والتوازن في المجتمع؟

إن المسلمين بيدهم هٰذا النظام، ولٰكنهم عاجزون أن ينهضوا به، فقد تخلوا عنه باستسلامهم لحياة البذخ والترف في قصور الأندلس وبغداد، فسلبت منهم قيادة البشرية، وأصبحوا الآن بسلوكهم المعوج لا يقتدىٰ بهم: ﴿ذَالِكَ

بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال]، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

إنه دين الحنيفية السمحة الذي لا خير للبشرية جمعاء إلا في ظله وتحت حكمه، الدين الذي جعل الله سبحانه العزة والرفعة والمجد والسمو والسيادة والريادة والقيادة لأصحابه إن تمسَّكوا به وأقاموا حدوده، وحكّموه في جميع شؤون حياتهم، وصدق الله القائل: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف]، فأصحابه مسؤولون عن طمس معالم ذٰلك الدين واندراس معالمه وتركهم له من غير أن يقدموه للبشرية، ويدعونها إليه لتَصْلُحَ وتُصْلِحَ، ويسود الخير فيها، وينشأ جيل محتذياً حذو ذٰلك الجيل القرآني الفريد الذي لم تشهد الدنيا مثله، ولم يتكرر علىٰ مر التاريخ.



بَيْنَ الشَّرِيْعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالقَانُوْنِ الوَضْعِي

نشرت بعض الصحف أن أمريكيّاً يدعىٰ كوك بلايستورت البالغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً قد بُرِّئَ من تهمة القتل والاغتصاب بعد أن حكم عليه بالإعدام، وقضىٰ تسع سنوات في السجن، وكان قد صدر عليه الحكم وفقاً لإفادة خمسة أشخاص أكدوا أنهم رأوه مع الفتاة القتيلة قبيل اختفائها، وبعد الاستئناف أصدرت المحكمة ثلاثة أحكام مؤبّدة في حق المتهم لـٰكن الدّفاع تمكن بعد ذٰلك من تقديم قطع جديدة من ثياب الضحية أدىٰ فحصها إلىٰ تبرئة المتهم بلايستورت، وأعلن القاضي إطلاق سراح المتهم بعد أن اطلعت المحكمة علىٰ نتائج الفحوص التي أجريت علىٰ عينات من جسم الفتاة البالغة من العمر تسع سنوات والتي تعرضت للاغتصاب والقتل خنقاً في يوليو ١٩٨٤م، وقد بينت الفحوص أن بنية المنوي لمرتكب الجريمة لم تكن مماثلة لتلك الموجودة لدىٰ المتهم، وعلىٰ أثر ذٰلك أعلنت منظمة تهتم بحقوق الإنسان في واشنطن أن السجين هو المتهم الواحد والعشرون الذي يصدر بحقه الإعدام ثم يطلق سراحه بعد ثبوت براءته منذ ١٩٨٠م، وقال مدير مركز المعلومات لتلك المنظمة: إن مثل هـٰذه القضايا تؤكد عدم صحة الإبقاء علىٰ عقوبة الإعدام.

وفي بريطانيا أيضاً قضايا مماثلة وآخرها ما نشر أن شخصاً يدعىٰ ليك مانتلي الذي أعدم قبل أربعين عاماً لاشتراكه في جريمة قتل شرطي كان ضحية خطأ في الحكم، وقال راديو لندن: إن حكم الإعدام قد نفذ في مانتلي الذي كان يبلغ من العمر التاسعة عشرة حينذاك علىٰ الرغم من أن شريكاً قاصراً في الجريمة هو الذي أطلق الرصاصة القاتلة، علىٰ الرغم من أن هيئة المحلفين أوصت بالرأفة، وكانت شقيقة المتهم قد بدأت حملة منذ عدة سنوات للحصول

علىٰ براءة شقيقها حتىٰ بعد مماته، وأخيراً أعلنت المحكمة العليا ذٰلك الخطأ في الحكم.

إن الذي أدىٰ إلىٰ الخطأ في هـٰذه الأحكام هو القانون نفسه، وذٰلك لأن القوانين الوضعية تجعل مجرد اقتناع القاضي بصحة الدليل وكفايته في الإدانة مسوِّغاً لإصدار الحكم ضد المتهم ولو كان الإعدام، في حين نجد الشريعة الإسلامية لا تجعل مجرد اقتناع القاضي بالدليل مسوِّغاً لإصدار الحكم بالإدانة؛ لأن أدلة الإثبات في الشريعة محددة ومقيدة بضوابط لا تجعل للقاضي حقاً في تجاوزها ولو كان مقتنعاً بالأدلة شخصيّاً، خاصة في مسائل القتل والحدود، إذ لا بد من الاعتراف الصريح من قبل المتهم وهو بحالة كمال الأهلية والاختيار أو شهادة شهود تتوافر فيهم الأهليّة الكاملة وقد رأوا الفعل المشهود به كما يرون الشمس في رابعة النهار.

إن منظمات حقوق الإنسان في الغرب التي تطالب بإلغاء عقوبة الإعدام بحجة أنها تؤذي الشعور الإنساني، تتجاهل حينئذ ما يقوم به المجرمون ضد الإنسانية، فبعضهم يقتل الناس بدون تمييز وبدون سبب وما ذٰلك إلا لروح الإجرام المتأصلة في ذٰلك المجرم؛ من ذٰلك ما حصل في ١٩٦٦م عندما قتل قنّاص يدعىٰ وايت مان ستة عشر شخصاً وجرح ثلاثين بعدما تمركز في برج جامعة تكساس في أوستن، وكان قد قتل قبل يوم واحد من الحادث والدته وزوجته، وما حصل في سنة ١٩٨٢م عندما قتل شخص يدعىٰ بانكس في ولاية بنسلفانيا مجموعة من الناس منهم أولاده الخمسة، كما أقدم رجل في الواحدة والأربعين من عمره يدعىٰ هيوبرت في جنوب كاليفورنيا علىٰ قتل عشرين شخصاً وجرح اثني عشر آخرين فيما وصف بأنه أسوأ حادث من نوعه يرتكبه شخص واحد في الولايات المتحدة، وقد قتل المسلّح بعد ذٰلك برصاص الشرطة، وحصل الحادث علىٰ أثر خلاف بين المجرم وزوجته حيث لحق بها وبابنتها إلىٰ أحد المطاعم وفتح النار علىٰ من كانوا داخله، حدث ذٰلك في ١٩٨٤م كما نشرته مجلة نيوز ويك في ٢٣ يوليو ١٩٨٤م. كان الأجدر بهيئات حقوق الإنسان أن تجعل العدالة نصب أعينها ولا تعطف علىٰ المجرمين بل

يجب أن يكون عطفها على الضحايا الذين تسفك دماؤهم دون ذنب جنوه، إن من حقوق الإنسان أن يجري القصاص بين الظالمين والمظلومين، والله الذي خلق الإنسان ويعلم من خلق وهو الرحيم بعباده قد شرع القصاص من أجل حياة الإنسان، وهٰذا ما يتقبله كل ذي عقل راجح؛ ولذٰلك خاطب الله في كتابه الحكيم أصحاب العقول الراجحة فقال تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾ [البقرة]، فالقتلة والمفسدون في الأرض يجب أن ينالوا أقصىٰ العقوبات وأقساها إذا كنا نريد للإنسانية الخير: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ۝٣٢ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٤﴾ [المائدة].

إن الذي يجب أن تتجه إليه منظمات حقوق الإنسان وتكثف جهودها من أجل إيقافه هو ما يقترفه المجرمون والطغاة من القتل والتعذيب وهتك الأعراض ضد أناس أبرياء، كل ذنبهم أنهم حامت حولهم شبهات أو لهم أقارب مطلوبون للحكومات فيأخذون البريء بذنب المسيء، وعليها أن تمنع المجازر التي تجري هنا وهناك كما هو الحال في فلسطين. فالغرب يؤيد إسرائيل التي تنتهك الحقوق في فلسطين، كما لا يرىٰ الغرب للمبعدين الفلسطينيين حقّاً في بلادهم، فقد نسيهم الغرب وتناستهم منظمات حقوق الإنسان. وإذا كانت إسرائيل لا تحكم بالإعدام في قوانينها فإنها قد حكمت بمساعدة الغرب بإعدام شعب كامل شرّدت الكثير منه إلىٰ الخارج، وقتلت الكثير من رجاله ونسائه وأطفاله في الداخل بحجة الدفاع عن النفس!! فأين منظمات حقوق الإنسان من هٰذه الجرائم النكراء؟ ولقد وجد الغرب طغاة في العالم الثالث يسنّون تشريعات من عند أنفسهم ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من

قبله العذاب، يقولون أنهم سنوها من أجل حماية المجتمع من الفوضىٰ والإرهاب، وحماية أرواح الناس وممتلكاتهم، وفي ظلها تزهق أرواح الناس، وتنهب أموالهم، وتنتهك أعراضهم، ولا يحرّك دعاة حقوق الإنسان في الغرب ساكناً ما عدا تصريحات غامضة لا تمنع ظلماً ولا تردّ حقّاً؛ بل يتلقّىٰ الطغاة كل المساعدات من الغرب من أجل المزيد من الظلم لشعوبهم، ومزيد من انتهاكات حقوق الإنسان في العالم الثالث.

إن ديننا ـ معشر المسلمين ـ يأمرنا بالعدل والإحسان، ولٰكننا نحيناه جانباً وتجاهلنا قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل]، وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾ [المائدة] فشريعتنا شريعة العدل والمساواة وكرامة الإنسان، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣﴾ [الحجرات].

إن العودة للشريعة والتمسك بالدين ونبذ القوانين الوضعية لهو الطريق إلىٰ السعادة. إلا إننا نجد في عالمنا الإسلامي أن كثيراً من النخب العلمانية تنكرت للإسلام، وارتدت عنه وكانت طابوراً خامساً في الكيان الإسلامي، لذٰلك مكّنها الاستعمار من الهيمنة علىٰ مراكز التوجيه والقيادة، ولم تقدّم لأوطانها غير المزيد من الخضوع والخنوع للأعداء، ونرىٰ الكثير منهم اليوم لا يجد أمامه إلا الإسلام يتهجّم عليه، ويشوّه أحكامه، ويطعن في قرآنه، وينتقص من رجاله ومن الصحابة والتابعين الذين غيّروا وجه التاريخ بهـٰذا القرآن، وأصبحت أمتهم رائدة الأمم، فأقاموا العدل، ونصروا الحق، وأعانوا الملهوف، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ودعوا إلىٰ الخير، وقضوا علىٰ الشر، وكانوا بذٰلك خير أمة أخرجت للناس، وفي هـٰذا العصر جاء المارقون من أبناء المسلمين فهادنوا الأعداء، وفرّطوا في الأوطان. فماذا نقول عن هـٰؤلاء؟ وماذا نقول عن صاحب كتاب «آيات شيطانية» (الباكستاني

الأصل سلمان رشدي) وأمثاله، ومن يروجون لهٰذا الفكر، ويدافعون عنه باسم الحرية؟

ومن الغريب أن تجد من أبناء المسلمين من يتنكّر للإسلام ويعلن كفره وإلحاده في الوقت الذي يقتنع بالإسلام العقلاء الغرب ومفكروه بل ويدافع عنه، وليس أدل علىٰ ذٰلك من سفير ألمانيا في المغرب (مراد هوفمان) الذي ألف كتاباً بعنوان «الإسلام هو البديل» وقبله بعض المستشرقين الذين انتهىٰ بهم البحث عن الحق إلىٰ الإسلام أمثال الشاعر الألماني الكبير جوتيه، والدكتور الفرنسي جريتيه والذي سئل عن سبب إسلامه فقال: «إني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الصحية والطبية والطبيعية التي درستها منذ صغري وأعلمها جيّداً؛ فوجدت هٰذه الآيات منطبقة كل الانطباق علىٰ معارفنا الحديثة، فأسلمت لأني تيقنت أن محمداً ﷺ أتىٰ بالحق الصالح من قبل ألف سنة من غير أن يكون له معلّم أو مدرّس من البشر، ولو أن كل صاحب فنٍّ من الفنون أو علم من العلوم قارن كلَّ الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيِّداً كما قارنت لأسلم بلا شك إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض».

هٰذا ما يقوله المفكرون، ولٰكن من يزعمون أنهم مفكرون مستنيرون من أبناء المسلمين يقولون شيئا آخر؛ فمنهم من يزعم تاريخيةِ القرآن، وأن هناك قرآنات لا قرآنا واحداً، ومنهم من يزعم عدم صلاحية الشريعة للعصر؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة].

بَينَ المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ وَالمُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ

العلمانيون يقولون: لا بد من إقامة المجتمع المدني في حياتنا المعاصرة، وإنه لا كرامة للإنسان ولا عدالة في المجتمع إلا في ظل الديمقراطية التي هي عماد المجتمع المدني، وإن المجتمع المدني يعني فصل الدين عن الدولة، وإن الغرب لم يتقدم إلا عندما فصل الدين عن الدولة، وأقام مؤسسات قضائية مستقلة عن سلطة الدولة، لذٰلك سادت العدالة، وحفظت حقوق الإنسان، وتساوىٰ الناس في الحقوق والواجبات. ويتناسىٰ العلمانيون أن إيجابيات المجتمع المدني قد جاء بها الإسلام قبل كل الأنظمة، وأنه يرحب بكل تقدم في مجال العلم والحضارة، وأن ما يرفضه الإسلام في المجتمع المدني الذي يدعو إليه العلمانيون هي السلبيات فقط، السلبيات التي يسكت عنها العلمانيون، ويقولون يجب إذا أردنا أن نتقدم أن نأخذ كل ما عند الغرب ما يحمد منه وما يكره، وأن نتبع الغرب حتىٰ في سيئاته، وينكر العلمانيون الفرق بين الإسلام والمسيحية، فعندما يتحدثون عن القرون الوسطىٰ يقولون: إن تاريخ القرون الوسطىٰ جعل من رجال الدين طبقة تمثل السيطرة والاستعلاء والتعصب. والواقع أن هـٰذا خاص بتاريخ أوروبا وهو بلا شك انحراف عن ملة عيسىٰ عليه السلام، وهـٰذا من فعل رجال الدين القساوسة الذين جعلوا الناس عبيداً لهم لا عبيداً لله، وهـٰذا الذي جرّ علىٰ أوروبا البلاء حتىٰ قامت الثورات ضد رجال الدين، وأدىٰ ذٰلك إلىٰ فصل الدين عن الدولة وحياة الناس، وفي ذٰلك التاريخ نفسه كانت البلاد الإسلامية في عصورها الزاهرة ولم تكن هناك طبقة تسمىٰ برجال الدين تسيطر علىٰ المجتمع، فالإسلام لا يعترف بوجود مثل هـٰذه الطبقة فضلاً عن أن يعترف بحقها في السيطرة والاستعلاء.

لقد تجنّىٰ هـٰؤلاء العلمانيون في كتبهم علىٰ الإسلام وتاريخ المسلمين ربما أكثر مما تجنىٰ عليه المستشرقون وغيرهم فقالوا: إن حكم الإسلام قد انتهىٰ بموت محمد ﷺ، فهـٰذا العشماوي صاحب كتاب «الإسلام السياسي» يتلاعب بالألفاظ فيقول: «إن حكم النبي ﷺ هي حكومة الله وهي حكومة تؤسس علىٰ كل القيم الدينية والمبادئ الأخلاقية ولا تجنح أبداً إلىٰ أخلاقيات السياسة وسلوكياتها، إنها حكومة من نوع خاص لا توجد إلا حيث يوجد نبي ولا نبي بعد محمد ﷺ».

لقد تأثر العلمانيون بالصراع الذي قام في أوروبا بين الكنيسة والسلطة، وأرادوا بذٰلك أن يلغوا أحكام الإسلام، وقد فضح هـٰذا العلماني نفسه وفضح جماعته بهـٰذا القول، فهم كأولـٰئك الذين ارتدوا علىٰ أعقابهم بعد موت الرسول ﷺ، لقد نسوا قول الله سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران]، يخبر الله في هـٰذه الآيات أن الرسول ليس بباقٍ أبداً، ولـٰكن يجب التمسك بما أتىٰ به إن مات أو قتل. ومما جاء به رسولنا ﷺ الحكم بما أنزل الله، فمن لا يؤمن بذٰلك فهو كافر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. لقد جعل هـٰؤلاء العلمانيون من أنفسهم علماء وأئمة يفسرون القرآن ويجمعون بين الأدلة فيقولون عن آيات الحكم كما في كتاب الإسلام السياسي: «إن هـٰذه الآيات نزلت في أهل الكتاب وإنهم وحدهم هم المقصودون بها لا المؤمنين المسلمين». إن التهرب من الحكم بما أنزل الله هو شأن المنافقين، وإذا تأملت آيات القرآن الكريم في هـٰذا الشأن لن تجد فرقاً بين ما كان يقوله المنافقون وما يقوله العلمانيون اليوم، فالقرآن الكريم واضح أنه يدعو إلىٰ العدل والمساواة وأداء الأمانات

ويرفض حكم الطواغيت، وهٰذه المبادئ يدّعي العلمانيون أنها هدفهم في الدعوة إلىٰ المجتمع المدني، فما بالهم إذن يرفضونها إذا جاء بها الإسلام قبل أن تأتي بها أفكار ساداتهم في الغرب؟ نريد من هٰؤلاء أن يتأملوا آيات القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

إن الذي يجهله العلمانيون أن حكم الله أرقىٰ وأعظم مما يتصورونه في المجتمع المدني، والذي يتميز به المجتمع الإسلامي عن المجتمع المدني الذي يطالبون به هو المرجعية، فإذا أرادوا الديمقراطية فإن أحسن ما يعتقدونه في الديمقراطية سيتحقق بالأخذ بنظام الشورىٰ المنضبطة في الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة]، وقال ﷻ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ:٣٨]، وقال جل في علاه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

إن من عظمة الإسلام احتواءه علىٰ قواعد وأصول يمكن العمل في

إطارها في كل زمان ومكان، وليس هناك حظر علىٰ المسلمين أن يستفيدوا من كل شيء عند الآخرين مما لا يتعارض مع الإسلام. وقد أخذ المسلمون السابقون بنظام الدواوين والخراج وإدارة الأموال من فارس والروم ولم يعدوا ذلك ممنوعاً في دينهم.

إن من المؤسف أن بعض المخدوعين في بلاد الإسلام يتهافتون علىٰ اتّباع الغرب في الفساد والسلبيات، ويريدون أن ينقلوا هٰذه الأمراض إلىٰ مجتمعات المسلمين، ويرون التقدم في تقليد الغرب في جميع ما عنده ولو في تلك السلبيات، ولا تقدم عندهم إلا بإبعاد الإسلام عن حياة المسلمين.

إن مثل هٰؤلاء المخدوعين كل همِّهم هو الافتراء والتزييف في تاريخ الإسلام ليبعدوا المسلمين عن دينهم بحجة السعي إلىٰ التقدم الحضاري، وهم في الواقع مفلسون من كل فكر صحيح يؤدي إلىٰ التقدم وليس عندهم غير التشكيك أو الافتراء، ونذكر هٰؤلاء الذين يدعون إلىٰ المجتمع المدني بدلا من المجتمع الإسلامي بقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل].



«بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْراً»

تآمر القوميون العرب والقوميون الأتراك الطورانيون[1] علىٰ الخلافة العثمانية بمساعدة الاستعمار البريطاني والفرنسي وأجهزوا عليها بعد أن ضعفت، وأقاموا بعد ذٰلك أحزاباً تحارب الإسلام وتبعده عن حياة المجتمعات الإسلامية، ليفسدوا أخلاقهم باسم الحرية والتقدم. ورأىٰ الاستعمار في هٰذه الطائفة خير خلف له في حكم هٰذه البلاد، فسلّم الاستعمار استقلال البلاد لهٰؤلاء، وكان استقلالاً وهمياً، فقد أشعل الخلافات بين النخب والقيادات، فانشغلوا بالمكايدات والصراعات، واعتنق كثير منهم الأفكار الإلحادية التي تنكر المرجعية الإسلامية، واعتقد بعضهم أن كثيراً من أحكام الإسلام لا تواكب العصر، أو أن بعض أحكامه فيها نقص وقصور، أو أن بعضها يحتاج إلىٰ اجتهاد معاصر وفهم جديد.

إنه لمن المعروف أن شريعة الإسلام قد جاءت في سموها وكمالها وشمولها لتصحح أوضاع الديانات بعد أن عفا النسيان علىٰ تعاليم الرسل والأنبياء، وقام أتباعهم بالانحراف عن سبيلهم والتحريف لما جاءوا به، ولأن شريعة الإسلام خاتمة الشرائع فقد جعلها الله كاملة شاملة، وهي شريعة لا تقبل التطور ولا التطوير في أصولها وإنما يتم التطور والتطوير في علم الإنسان بأحكامها واستنباطه لها وتطبيقه لتلك الأحكام فيما يستجد من الجزئيات، وإنما قلنا لا تقبل التطور والتطوير في أصولها؛ لأن التطور يعني التحول من حالة إلىٰ ما هو أفضل منها أو أحط، وبما أنها كاملة رفيعة المستوىٰ لا

(١) نسبة إلىٰ هضبة طوران الواقعة في آسيا الوسطىٰ، والحركة الطورانية دعوة تنادي بتوحيد الشعوب الناطقة بإحدىٰ اللغات التركية.

يشوبها نقص ولا يخالطها باطل، فهي لا يمكن أن تتطور إلىٰ ما هو أحط منها وإلا كان نقصاً من مستواها ولا إلىٰ ما هو أعلىٰ منها لأن هٰذا الأعلىٰ غير موجود؛ ذٰلك لأنها مستمدة من كتاب العلي القدير، وهو كلام الله بلفظه ومعناه، فلا يمكن أن يكون الكلام الإلٰهي إلا كاملاً ومشتملاً علىٰ الأحكام الكاملة. وقد اشتمل كتاب الله سبحانه علىٰ جميع ما تتوقف عليه هداية البشرية من أحكام وأخلاق وعقائد ونواميس اجتماعية، ومحتويات كلماته العلمية لا يدخلها الحصر، ولا يصل إليها العد، ولا يبلغ مداها العرفان: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

فمنذ نزل الوحي كتاباً وسنة ومجهودات الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من العلماء يستخرجون منه من ضروب المعرفة وأنواع الحكم، فمعرفتنا هي التي تتطور، والموضوعات التي نريد أن نبحث عن أحكام الله فيها هي التي تختلف حسب العصور والأمكنة، فإذا عرفنا أن أحكام الشريعة الأصلية غير قابلة للتطور والتطوير فإن من مميزات الفقه الإسلامي مسايرته للظروف والأزمنة، وقد فتح الشارع باب الاجتهاد للقادرين عليه من كل المسلمين في كل عصر وفي كل مكان، فما يستجد من المسائل لا حصر له ولا نهاية لوقوعه. والاجتهاد يرجع إلىٰ استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية كتاباً وسنة وإجماعاً إلىٰ جانب القياس والاستحسان والمصالح المرسلة ونحوها، وما يستند إلىٰ هٰذه الأدلة لا يكون جديداً في الشريعة وإنما انكشافه والعمل به هو الجديد، وكل الأحكام التي مصدرها هٰذه الأدلة تعد داخلة في خطاب الله تعالىٰ المتعلق بأفعال المكلفين، ولا يمكن أن يكون ثمة اجتهاد فيما له دليل قطعي الدلالة.

إنه يجب أن يكون في الأمة الإسلامية مجتهدون للقيام بهٰذه المهمة العظيمة. وقد قال عمر رضي الله عنه في كتابه لأبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: «الْفَهْمَ الْفَهْمَ فِيمَا تَخَلَّجَ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَمْ يَبْلُغْكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، اعْرَفِ الأَمْثَالَ وَالأَشْبَاهَ، ثُمَّ قِسِ الأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَاعْمَدْ إِلَىٰ أَحَبِّهَا إِلَىٰ اللهِ وَأَشْبَهِهَا بِالْحَقِّ

فِيمَا تَرَىٰ»[١]، فالاجتهاد يكون في إطار النصوص الشرعية، وبضوابط معلومة، وليس لكل من هبّ ودبّ.

إن من نواقض الإسلام الخروج علىٰ هٰذه النصوص وعدم الاعتداد بها، وهنا يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت علىٰ حكمه فهو كافر، ويدخل في هٰذا أيضاً من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرىٰ، ويدخل أيضاً من يرىٰ أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحديث، ويدخل في ذٰلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات والحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذٰلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذٰلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعا، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين»[٢].

إن الإسلام دين الحنيفية السمحة، فهو الدين الكامل الذي جعله الله نعمة ورحمة للعالمين وخاتماً للشرائع أجمعها، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة:٣]، قال المفسرون: «﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ أي: بإكمال الشرائع والأحكام وإظهار دين الإسلام»[٣]، والذين تنكروا لهٰذا الدين واعتنقوا مبادئ أخرىٰ بحجة الرغبة في التقدم في هٰذه الحياة الدنيا، أثبت الواقع أنهم ألحقوا الضرر بأنفسهم وبشعوبهم، وخسروا في دنياهم وأخراهم، ولقد رأينا الذين اعتنقوا الماركسية

---

(١) «سنن الدارقطني» (٤/ ٢٠٧)، «السنن الكبرىٰ» للبيهقي (٢٠١٣٤)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢٦١٩).

(٢) «مجموع فتاوىٰ ابن باز» (١/ ١٣٢) بتصرف.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٦/ ٦٢).

وكفروا بالإسلام، والذين اعتنقوا العلمانية تقليداً للغرب، رأينا من هٰـؤلاء من قد تحولوا إلىٰ عملاء لا خيار لهم، وتحكمت فيهم الصهيونية بعد أن تنكبوا الطريق وتركوا الصراط المستقيم، رأيناهم وقد لفظتهم شعوبهم وأصبحوا في حالة لا ترضاها الكلاب لنفسها، وما ينتظرهم في الآخرة أسوأ وأشد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم].



«إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ»

عقد مؤتمر في الرباط بدعوة من منظمة اليونسكو بالتعاون مع المملكة المغربية في الفترة من ١٤ ـ ١٦ يونيو ٢٠٠٥م، ضم ثلاثين من المفكرين الدينيين وعلماء اللاهوت من المسلمين والمسيحيين واليهود كما جاء في جريدة الشرق الأوسط بعنوان «الدين في عصر العولمة» وقد وصف هـٰذا المؤتمر بأنه تجمع «المعتقدات التوحيدية الثلاثة»، ولاحظ جمع من المشاركين أن ثمة معتقدات أخرىٰ يعد أصحابها أنفسهم بأنهم توحيديون كمعتقدات السيخ والمجوس، ورأىٰ بعضهم أنه يمكن أن تنضم إليها الهندوسية والبوذية. وقد رأت إحدىٰ الوثائق المقدمة أن جميع الديانات تتساوىٰ وتقبل حدّاً أدنىٰ من الأشياء المشتركة فيها، وهـٰذا قد يصبح فيما بعد نوعاً من الإعلان العالمي، وهـٰذا الإعلان الذي تتبناه منظمة عالمية دينية قد تفرض شروطاً لمنع سوء استخدام الدين لأسباب سياسية أو أخرىٰ غير دينية. يذكّرنا هـٰذا التجمع بما صاحب اتفاقية كامب ديفيد من دعوة إلىٰ توحيد الأديان، حتىٰ قيل إنه ستبنىٰ معابد في محيط واحد «مسجد وكنيسة وكنيس»، كما ظهرت بعد ذٰلك دعوات إلىٰ قيام هـٰذه المعابد للنصارىٰ واليهود والمسلمين في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، فيبنىٰ مسجد وكنيسة ومعبد «كنيس»، كما أن هناك دعوة أيضاً إلىٰ طباعة القرآن والتوراة والإنجيل في كتاب؛ أي: بغلاف واحد، وإذا لاحظنا أن هناك ديانات تظهر في كل يوم فلن تكون للمسألة حدود، ففي الولايات المتحدة أكثر من ٣٠٠ مجموعة تعترف بها الدولة كمجموعات دينية؛ ومنها تلك التي أسسها رجل من شيكاغو ادعىٰ أنه سافر إلىٰ السماوات العلا بمركبة فضائية وعاد حاملاً الحكمة التي تنقذ البشرية، ومنها أيضاً تلك الجماعات التي تعبد الشيطان.

إن الذي يجب علينا نحن المسلمين أن نتنبه لكل المحاولات التي هدفها القضاء علىٰ الإسلام بطرق مختلفة؛ بعضها ملتوية كمسألة توحيد الأديان، وليس بخاف أن عقيدة المسلمين هي أن الإسلام قد جاء للناس كافة، وأن رسول الإسلام ﷺ قد جاء علىٰ فترة من الرسل بعد أن حرفت الكتب السماوية السابقة التي أنزلها الله قبل القرآن. ففي الإسلام وحده وحدة الأديان السماوية، وإذا لم يدخل اليهود والنصارىٰ في دين الإسلام سيظلون كفاراً بالشرائع التي أنزلها الله، ومنحرفين عن دين الحق، وقد أجاز الإسلام للمسلمين ذبائحهم والتزوج من نسائهم بشرائط معلومة في كتب الفقه؛ لأن عندهم أصل كتاب منزل وهو التوراة التي أنزلت علىٰ موسىٰ عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل علىٰ عيسىٰ عليه السلام، وإنما جاء كفرهم بسبب نقضهم للميثاق الذي أخذه الله عليهم من الإيمان بالرسول الخاتم ﷺ، وكذٰلك بسبب التحريف الذي أدخله الرهبان والأحبار في التوراة والإنجيل، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة]، ولذٰلك جاء الإسلام ناسخاً للشرائع التي سبقته، وقد آمن بالإسلام كثير من أهل الكتاب، فكتب الله لهم أجرهم مرتين كما في الحديث الصحيح[1]، ومن أعظم هٰؤلاء ملك الحبشة النجاشي الذي كان نصرانياً وآوىٰ المسلمين الهاربين من بطش قريش في مكة، وعندما مات صلّىٰ عليه الرسول ﷺ بالمدينة صلاة الغائب، ومنهم أيضاً الصحابي الجليل عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي كان يهودياً ثم أسلم، فكان رجلاً

(١) «صحيح البخاري» (٩٧)، «صحيح مسلم» (٤٠٤)، «مسند أحمد» (١٩٥٣٢)، والحديث بلفظ البخاري هو عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ثَلاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّىٰ حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»**.

من أهل الجنة يمشي علىٰ الأرض[1]، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران]، وقد أمر الله المسلمين أن يدعوا أهل الكتاب إلىٰ الإسلام، ويجادلوهم بالتي هي أحسن إلا الظالمين والمعاندين منهم، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت].

فالمطلوب من أهل الكتاب أن يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام وإلا

---

(١) والحديث الدال علىٰ ذٰلك عند البخاري في «صحيحه» (٣٨١٣)، ولفظه: عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ وَجْهِهِ أَثَرُ الْخُشُوعِ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا، ثُمَّ خَرَجَ وَتَبِعْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ، قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ: وَاللهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ؟ رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ، ـ ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَخُضْرَتِهَا ـ، وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: ارْقَ. قُلْتُ: لَا أَسْتَطِيعُ. فَأَتَانِي مِنْصَفٌ فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي، فَرَقِيتُ حَتَّىٰ كُنْتُ فِي أَعْلَاهَا، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقِيلَ لَهُ: اسْتَمْسِكْ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: **تِلْكَ الرَّوْضَةُ الْإِسْلَامُ، وَذٰلك الْعَمُودُ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَىٰ، فَأَنْتَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ تَمُوتَ.** وَذَاكَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ.
وهٰذا عند مسلم في «صحيحه» (٦٥٣٦)، و«مسند أحمد» (٢٣٨٣٨)، وعنده أيضا (١٥٩١) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِقَصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ، فَأَكَلَ فَفَضَلَ مِنْهُ فَضْلَةٌ، فَقَالَ: «**يَدْخُلُ مِنْ هٰذا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَأْكُلُ هٰذه الْفَضْلَةَ**» قَالَ سَعْدٌ: وَقَدْ كُنْتُ تَرَكْتُ أَخِي عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَتَهَيَّأُ لِأَنْ يَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَطَمِعْتُ أَنْ يَكُونَ هُوَ، فَجَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ فَأَكَلَهَا. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

كانوا كفاراً، قال تعالىٰ: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة]، فقد جعل الله الإسلام هو الدين الجامع لما جاء به موسىٰ وعيسىٰ والمرسلون عليهم الصلاة والسلام من قبل، فمن لم يؤمن بالإسلام فلا يقبل منه أن يقول إنه من أهل التوحيد، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة:٤٨]، فالذي لا يؤمن بالإسلام من اليهود والنصارىٰ فقد تنكر للتوراة والإنجيل وخالفهما، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

إن دين الإسلام هو دين الله للعالمين وليس فيه كهنوت، ولا يستخدمه المسلمون كمؤسسة تجارية كما في حالة الفاتيكان التي أصبح الدين عندهم يستخدم لأغراض تجارية، فقد أصبحت الفاتيكان مؤسسة تجارية دولية، لديها أعمال وعقارات تنتشر في أنحاء العالم، ولا كالسلطة البوذية في التبت التي ترتبط بصفقات تجارية لعقود طويلة، وأما اليهود فقد ملكوا كل شيء في هٰذا العالم، وتحكموا في كل التجارات، ولم يكن الدين عندهم إلا للرِّبا والاستغلال، وسخّروا دولاً وجماعات لتحقيق أهداف الصهيونية، والإسلام وحده المجني عليه والمفترىٰ عليه وليس له نصير في هٰذا العالم، وبعض أتباعه اعتنقوا العلمانية وانضموا إلىٰ أعدائه في محاربته فانسلخوا منه،

وبعضهم زاد على اليهود والنصارى والهندوس في عدائه للإسلام، فحسبنا الله ونعم الوكيل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران].



المَجْدُ فِيْ رَفْعِ رَايَةِ الإِسْلَامِ

الإسلام ليس كلمة جوفاء مجردة عن المضمون، الإسلام علم وعمل، عقيدة وشريعة، سلوك وأخلاق. كانت الأمة العربية قبائل متفرقة متناحرة فجمعها الإسلام ووحّدها وحدة حقيقية لا مجرد ادعاء، لا وحدة شعارات وأناشيد. فعندما كانت للإسلام راية مرفوعة، كانت رؤوسنا مرفوعة، وعندما كان الإسلام عقيدة في القلوب وعملاً بالجوارح كانت لنا حضارة سامقة، وكانت راياتنا ترفرف علىٰ مشارف فرنسا غرباً ومشارف الصين شرقاً، وكانت حضارتنا هي النواة لما نشاهده اليوم من تقدم في الغرب، فما قامت حضارة الغرب إلا علىٰ أكتاف حضارتنا. لقد ظلت كتبنا العلمية مصدراً هاماً للتدريس في جامعات أوروبا لعدة قرون، ولٰكن عندما تخلينا عن الإسلام ورفعنا رايات أخرىٰ تفرقت بنا السبل وسقطت حضارتنا، واحتُلت بلادنا، وذقنا الذل والهوان، وتخلفنا عن مسيرة الشعوب، وأصبحنا أقرب إلىٰ أهل الغابات والقبائل البدائية، فنجد أن أكبر نسبة للأمية في العالم هي في مجتمعاتنا، وأصبحنا أسوأ الشعوب قيمة ومكانة بين الأمم، ولم يكن ذٰلك إلا بعد أن أبعدنا الإسلام عن حياتنا، وطالبنا بفصل الدين عن الدولة والإسلام عن السياسة.

لقد جاء الاستعمار الغربي علىٰ أنقاض الخلافة العثمانية التي سموها الرجل المريض، واقتسموا تركته، وقامت الثورة العربية بتوجيه بريطانيا ودعمها، وقامت الثورة التركية بتوجيه اليهود والاستعمار ودعمها، واحتلت بريطانيا فلسطين وبعد ذٰلك جاء وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ثم جاء الجلاء وإنهاء الانتداب بعد أن هيأت بريطانيا أسباب القوة لليهود في فلسطين، ولما قامت الحرب بين سبع دول عربية واليهود سنة

١٩٤٨م هزم العرب شر هزيمة، ثم عقدت الهدنة، وكانت القدس في القطاع الذي يتبع الأردن من فلسطين، ثم قامت حرب أخرىٰ بين العرب واليهود عام ١٩٦٧م فكانت فاجعتنا الكبرىٰ، فأخذت فلسطين بأجمعها وأجزاء أخرىٰ من البلاد العربية، وكل ذٰلك حصل في ظل رايات ليس فيها راية الإسلام(١)، فكيف نقول: إننا فشلنا باسم الإسلام؟! لقد فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس تحت راية الإسلام، وبعد قرون احتلتها الصليبيون أمام تفكك المسلمين إلىٰ إمارات ودول، وبعد ثمانين عاماً جاء صلاح الدين الأيوبي واستعادها تحت راية الإسلام، واستمرت في يد المسلمين قروناً من الزمان حتىٰ أنزلت راية الإسلام وارتفعت رايات مختلفة ليس فيها للإسلام راية فاحتلتها اليهود.

إن المقدسات الإسلامية لن تعود إلا بتضامن المسلمين وتصميمهم علىٰ إرجاعها تحت راية الجهاد ولن يكون ذٰلك إلا باسم الإسلام وتحت رايته.

إنه ليس هناك طريق لنيل حقوقنا واسترجاع مقدساتنا إلا بتضامننا وتوحدنا واعتصامنا بحبل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. لن نفشل ونهزم إذا اعتصمنا بحبل الله ورفعنا راية الإسلام عالية خفاقة قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، وقال جلّ في علاه: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، وقال عزّ من قائل: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال].

إنها راية الإسلام التي لا ينبغي أن تُرفع راية سواها، ولا أن يقاتل تحت شعار عداها، فهي سبيل المجد والسؤدد والعزة والعلو والرفعة، وما أجمل ما قال الشاعر هاشم الرفاعي رحمه الله وهو يصف عهداً مضىٰ كانت فيه الراية للإسلام، وكان العيش تحت ظلالها:

---

(١) وإن كنا نعتقد أن بعض الناس أو الطوائف قد اشتركوا في حرب اليهود بنية الجهاد في سبيل الله، ولٰكننا نقول: إن الراية الظاهرة لم تكن باسم الإسلام.

مَـلَـكْـنَـا هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا قُـرُونـاً   وَأَخْـضَـعَـهَـا جُـدُودٌ خَـالِـدُونَـا
وَسَـطَّـرْنَـا صَـحَـائِـفَ مِـنْ ضِـيَـاءٍ   فَـمَـا نَـسِـيَ الـزَّمَـانُ وَلَا نَـسِـيْـنَـا
وَكُـنَّـا حِـيْـنَ يَـرْمِـيْـنَـا أُنَـاسٌ   نُـؤَدِّبُـهُـمْ أُبَـاةً قَـادِرِيْـنَـا
وَكُـنَّـا حِـيْـنَ يَـأْخُـذُنَـا وَلِـيٌّ   بِـطُـغْـيَـانٍ نَـدُوْسُ لَـهُ الـجَـبِـيْـنَـا
تَـفِـيْـضُ قُـلُـوبُـنَـا بِـالـهَـدْيِ بَـأْسـاً   فَمَا نُغْضِيْ عَنِ الظُّلْمِ الجُفُونَا
وَمَـا فَـتِـىءَ الـزَّمَـانُ يَـدُوْرُ حَـتَّـىٰ   مَـضَـىٰ بِـالـمَـجْـدِ قَـوْمٌ آخَـرُوْنَـا
وَأَصْبَحَ لَا يُرَىٰ فِيْ الرَّكْبِ قَوْمِيْ   وَقَـدْ عَـاشُـوا أَئِـمَّـتَـهُ سِـنِـيْـنَـا
وَآلَـمَـنِـيْ وَآلَـمَ كُـلَّ حُـرٍّ   سُؤَالُ الدَّهْرِ: أَيْنَ المُسْلِمُونَا؟
تُرَىٰ هَلْ يَرْجِعُ المَاضِيْ؟ فَإِنِّيْ   أَذُوبُ لِـذَلِـكَ الـمَـاضِـيْ حَـنِـيْـنَـا
بَنَينَا حَقْبَةً فِيْ الأَرْضِ مُلْكاً   يُـدَعِّـمُـهُ شَـبَـابٌ طَـامِـحُـونَـا
شَـبَـابٌ ذَلَّـلُـوا سُـبُـلَ الـمَـعَـالِـيْ   وَمَا عَرَفُوا سِوَىٰ الإِسْلَامَ دِيْنَا
تَـعَـهَّـدَهـمْ فَـأَنْـبَـتَـهُـمْ نَـبَـاتـاً   كَرِيْماً طَابَ فيْ الدُّنْيَا غُصُونَا
شَـبَـابٌ لَـمْ تُـحَـطِّـمْـهُ الـلَّـيَـالِـيْ   وَلَمْ يُسْلِمْ إِلَىٰ الخَصْمِ العَرِيْنَا
كَـذَلِـكَ أَخْـرَجَ الإِسْـلَامُ قَـوْمِـيْ   شَـبَـابـاً مُـخْـلِـصـاً حُـرّاً أَمِـيْـنَـا
وَعَـلَّـمَـهُ الـكَـرَامَـةَ كَـيْـفَ تُـبْـنَـىٰ   فَـيَـأْبَـىٰ أَنْ يُـقَـيَّـدَ أَوْ يَـهُـوْنَـا
دَعُـوْنِـيْ مِـنْ أَمَـانٍ كَـاذِبَـاتٍ   فَـلَـمْ أَجِـدِ الـمُـنَـىٰ إِلَّا ظُـنُـونَـا
وَهَـاتُـوا لِـيْ مِـنَ الإِيْـمَـانِ نُـوراً   وَقَـوُّوْا بَـيْـنَ جَـنْـبَـيَّ الـيَـقِـيْـنَـا
أَمُـدُّ يَـدِيْ فَـأَنْـتَـزِعُ الـرَّوَاسِـيْ   وَأَبْـنِ الـمَـجْـدَ مُـؤْتَـلِـقـاً مَـكِـيْـنَـا



بِقُوَّةِ الإِسْلَامِ نَحْمِي الأَوْطَانَ وَالمُقَدَّسَاتِ

لقد كان حزب الرفاه الإسلامي في تركيا يعمل بإخلاص لوحدة المسلمين ليتعاونوا علىٰ حل مشاكلهم، وحاول جاهداً إبعاد تركيا عن التقارب مع إسرائيل التي هي في الواقع دولة معادية للإسلام والمسلمين، وتحتل جزءاً من البلاد الإسلامية، وتعمل علىٰ تهويد القدس القبلة الأولىٰ للمسلمين، وتقيم فيها المستوطنات اليهودية، وتتحدىٰ القرارات الدولية، ولما رأىٰ الجنرالات والعلمانيون في تركيا أن حزب الرفاه يتجه إلىٰ تقوية علاقات تركيا بالعرب والمسلمين والانتصار للإسلام داخل تركيا وخارجها، ساءهم ذٰلك، فعملوا علىٰ إبعاده عن السلطة حتىٰ يتقاربوا أكثر مع إسرائيل، ويتحالفوا معها ضد الإسلام وضد العرب جيرانهم، وما علموا أن إسرائيل كما تحقد علىٰ العرب تحقد علىٰ الشعب التركي أيضاً لما له من تاريخ في رفع راية الإسلام، ولٰكن العلمانيين سواء كانوا أتراكاً أو عرباً عميت أبصارهم وبصائرهم حتىٰ لم يروا مصالح شعوبهم الحقيقية، ويدعون أنهم يعملون لمصلحة الأوطان أكثر من غيرهم، ويجهلون أن من خان دينه خان وطنه، فلولا الإسلام ما احتفظ المسلمون بأوطانهم، والمخلصون للإسلام هم الذين يدافعون عن الأوطان، ويبذلون النفس والنفيس من أجل أوطانهم وعزتها وكرامتها، وأوطان المسلمين هي ديار الإسلام، والدفاع عنها جهاد في سبيل الله، في حين نرىٰ من العلمانيين والملحدين يفرطون في أوطانهم بل ويسْتَعْدُون الأعداء علىٰ غزوها. فمن تخلىٰ عن دينه سهل عليه التخلي عن وطنه.

إن المسلمين لا يستطيعون أن يحموا أوطانهم بالتحالف مع أعداء الإسلام، ولٰكنهم إن بذلوا كل ما يمكن من أجل التقدم في المجال الصناعي والاقتصادي، ووحّدوا صفوفهم ولم يدعوا مجالاً للفرقة والخلافات استطاعوا

حمايتها وبناءها، فاليهود كانوا أقليات مستضعفة في العالم فأصبحوا بتكاتفهم واستغلال الفرص قوة تهدد مستقبل المسلمين.

صحيح أن الغرب ساعدهم وما زال يساعدهم، ولٰكن يستطيع المسلمون أن يعملوا أكثر منهم، وأن يؤثروا في الدول التي تساعد إسرائيل عن طريق استخدام المصالح المتبادلة، وبذل كل محاولة لتقف هٰذه الدول علىٰ الأقل محايدة في بعض المواقف بدلاً من أن ينفذوا كل التوجهات دون قيد ولا شرط. فلماذا لا نكشف اللوبي الصهيوني بممارساته القذرة؟ لماذا لا نكشف التعصب اليهودي ضد الدين المسيحي؟ فها هم الصهاينة يرسمون مريم العذراء برأس بقرة، وهٰذا له دلالته عندهم. والإسلام هو الذي احترم المسيح وأمه الصديقة، وأنكر علىٰ اليهود اتهامهم لمريم العذراء، وزعمهم أنهم قتلوا المسيح وصلبوه لأن الله رفعه وحماه من كيدهم، وكذّبهم في زعمهم. وكذٰلك احترم الإسلام كليم الله موسىٰ عليه السلام أكثر من اليهود، وآمن به المسلمون كما آمنوا بالرسل جميعاً، وعظّموهم ووقّروهم، ولم يفرّقوا بين أحد من رسل الله، وقد قال رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام عن اليوم الذي نجىٰ الله فيه موسىٰ عليه السلام عندما سنّ صيامه، قال: «**نَحْنُ أَوْلَىٰ بِمُوسَىٰ مِنْهُمْ**»[1]؛ أي: نحن أولىٰ بموسىٰ من اليهود؛ لأننا لا نفرق بين الرسل، بل نحترمهم ونؤمن بهم جميعاً، ونعتقد أن الكفر بواحد من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كفر بجميعهم.

إن دين الإسلام الحنيفية السمحة التي بعث بها محمد ﷺ رحمة للعالمين، فكيف يقال أن المسلمين يمارسون الاضطهاد الديني كما يزعم المتعصبون في الكونجرس الأمريكي والخارجية الأمريكية الدائرون في الفلك الصهيوني. لقد عقدت في إحدىٰ قاعات الكونجرس جلسة للجنة الفرعية للشرق الأدنىٰ التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية حضرها بعض العرب غير المسلمين المقيمون في أمريكا، وسيطر علىٰ مناقشات الاجتماع الصهيونيون

(١) «صحيح البخاري» (٤٧٣٧)، «صحيح مسلم» (٢٧١٢)، «مسند أحمد» (٣١١٢).

الذين اتهموا المسلمين بممارسة الاضطهاد الديني ضد المسيحيين، وتجاهلوا ما تقوم به إسرائيل من قتل وتشريد وظلم واضطهاد للفلسطينيين وتهويد وتدمير للقدس الشريف.

إن المسلمين يكفيهم شرفاً وفخراً أن يقيموا الحجة لهم أو عليهم من كتابهم العظيم القرآن الكريم، فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ١٥٤ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ [النساء].

نحن نتمنىٰ أن يكون من أهل الكتاب سواء اليهود أو النصارىٰ راسخون في العلم يؤمنون بما أنزل علىٰ محمد ﷺ، وما أنزل من قبله علىٰ موسىٰ وعيسىٰ والأنبياء والرسل قبلهم عليهم الصلاة والسلام أجمعين، فنحن ـ المسلمين ـ نؤمن بذٰلك، لهٰذا لا يمكن أن يصدر من مسلم أي إساءة أو

احتقار لنبي من الأنبياء أو لشريعة من الشرائع السماوية غير المحرفة، ولٰكن يمكن أن يصدر ذٰلك من اليهود ضد المسيح ودينه، وضد الإسلام ومحمد ﷺ كما حصل فعلاً ويحصل كثيراً على مر التاريخ، ويمكن أن يصدر من النصارىٰ شيء من ذٰلك ضد الإسلام وضد نبي الإسلام، لٰكن من المستحيل أن يصدر مثل ذٰلك من مسلم يؤمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً؛ لأن موسىٰ وعيسىٰ عليهما الصلاة والسلام لهم كل إجلال وتكريم من المسلمين جميعا، يفرض ذٰلك عليهم دينهم، وما جاء محمد ﷺ إلا بما جاؤوا به: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة]، ويقول رسولنا الكريم الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بَيْتاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟** قَالَ: **فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**»[1]. لٰكن هناك من المسيحيين منصفون ويقولون كلمة الحق في موضوع اتهام المسلمين بالتعصب، من هٰؤلاء القس ميثون الذي قال: «إنه لمن المحزن أن يتلقىٰ المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم،

(١) «صحيح البخاري» (٣٥٣٥)، «صحيح مسلم» (٦١٠١)، «مسند أحمد» (٩١٥٦).

زد علىٰ ذٰلك أن المسلمين يحملون لعيسىٰ عليه السلام في نفوسهم التبجيل والتعظيم في حين أن أنصار المسيح يمطرون محمداً وابلاً من اللعنات والسخطات الأمر الذي يدعونا إلىٰ الدهشة والغرابة، ذٰلك لأنهم أتباع يسوع صاحب عظة الجبل والقائل بالعفو والإحسان». وبينما المسلمون يكرمون مريم البتول ويحترمونها يقول بعض المسيحيين: إنها قد ولدت ابنها عيسىٰ في زريبة بقر ومعها خطيبها يوسف أحد أبناء داود، واتهمها اليهود في شرفها، وأن عيسىٰ ليس من روح الله، ولٰكن المسلمين يقولون ما أدبهم به ربهم سبحانه وتعالى في كتابه العظيم الذي أنزل علىٰ محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [مريم].

هٰذه الآيات الكريمات البينات هي عقيدة المسلمين في عيسىٰ وأمه عليهما السلام، فأين هٰؤلاء الذين يقولون لا يوجد من يحترم الأديان والأنبياء والمرسلين أكثر منهم؟ ونخاطب الأمريكان والأوروبيين ونقول لهم: اقرأوا تاريخ المسيحية واليهودية جيِّداً وسترون أن المسلمين هم الأمناء علىٰ الأديان، وهم الذين يستحقون الإشراف علىٰ كل المقدسات في الشام، ويستحقون أن تكون القدس بأيديهم ولا تكون في أيدي اليهود، وأن المطالبة بالقدس جزء من عقيدتهم الإسلامية، ولن يتخلوا عنها مهما حلت بهم النكبات، ومهما تآمر عليهم المتآمرون، وبقوة الإسلام دين الحنيفية السمحة نحمي الأوطان والمقدسات.

مَسْؤُولِيَّةُ المُسْلِمِيْنَ فِيْ الغَرْبِ

يتحمل المسلمون الذين يعيشون في الغرب أو الذين يترددون علىٰ الغرب في زيارات مختلفة مسؤولية كبرىٰ نحو إسلامهم وحمايته من التشويهات، فعليهم أن يستغلوا الحرية المعطاة هناك للأديان، وأن يدعوا إلىٰ دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة، حتىٰ يتمكنوا من إقناع الناس هناك بالإقبال عليه والدخول فيه، فيحوزوا رضوان الله، وقد قال رسول الله ﷺ: «**فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[1]، فمن يرد أن يهدي الله الناس علىٰ يديه فعليه أن يبذل قصارىٰ جهده في التحكم في قوله وفعله، وأن يوسع صدره لما يرىٰ ويسمع، ويسيطر علىٰ رغباته وشهواته، فلا يستجيب للمغريات، ولا يُستفَزّ من المنفّرات، ولا يخضع للمؤثرات، فإذا نجح في ذٰلك وتمكن من تحكيم العقل والشرع في تصرفاته وحركاته وسكناته استطاع أن يحقق الهدف الذي يسعىٰ إليه؛ وهو نشر الإسلام في المجتمعات الغربية خاصة، والمجالات هناك مفتوحة بحكم نظام الديمقراطية والتعددية والحرية التي تسود في الغرب، فالذي يحرص علىٰ أداء أمانة الدعوة إلىٰ الإسلام فالفرصة أمامه متاحة، وقد أجاز مجلس الشيوخ الأمريكي أخيراً بالإجماع قانوناً خاصاً بحرية الأديان في الولايات المتحدة، ويدعو هٰذا القانون إلىٰ التسامح الديني تجاه المسلمين الأمريكيين، وإنهاء التفرقة الدينية والعداء والإساءة للإسلام والمسلمين، وقد قدّم هٰذا القانون كمشروع قانون إلىٰ مجلس الشيوخ في الأول من يوليو ١٩٩٩م قدمه السناتور الجمهوري (سبنسر ابراهام)، وأيده كل من السناتور الجمهوري (لاري كريغ)، والسناتور

(١) «صحيح البخاري» (٣٠٠٩)، «صحيح مسلم» (٦٣٧٦)، «مسند أحمد» (٢٢٨٧٢).

الديمقراطي (تشارلز روب)، والسناتور الديمقراطي (بول وليشون)، والسناتور الديمقراطي (جوزيف ليرمان) والسناتور الديمقراطي (ثيم جونسون)، والسناتور الديمقراطي (رسل فينغول)، ولا شك أن هٰذا كان ثمرة للجهود التي بذلتها المؤسسات والمنظمات الإسلامية في أمريكا، ونصراً لهٰذه الجهود في مقابل التشويهات والإساءات التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون في أمريكا بسبب بعض التصرفات السلبية التي تصدر عن بعض المسلمين فيستغلها أعداء الإسلام في الإساءة للإسلام والمسلمين. فبعض المسلمين يذهبون إلىٰ الغرب وبدلاً أن يكونوا مثالاً وقدوة في الأخلاق والأمانة فيتخلقون بأخلاق الإسلام في المعاملة والسلوك والبعد عن المحرمات يكونون مع الأسف أسوأ الناس، ولا يتورعون عن الحرام، وبعضهم يتظاهر بالتدين والتشدد في الفتوىٰ ويطلق لنفسه العنان في أكل أموال الناس بالباطل بحجة أنها دار حرب، وأن أهلها كفار تستحل دماؤهم وأموالهم، ويتناسون أنهم يعيشون في حمايتهم ورعايتهم ولا يستطيعون أن يعيشوا في أوطانهم، فهٰؤلاء يمثلون أكبر إساءة للإسلام والمسلمين لأنهم يحكّمون أهواءهم ولا يحكّمون الإسلام في تصرفاتهم.

إن علىٰ المسلم في بلاد الغرب مسؤولية عظيمة ينبغي أن يقوم بها، فهو سفير الإسلام والمسلمين هناك، وليحذر من اتباع الشهوات والشبهات فإن اتباع ذٰلك من اتباع الهوىٰ، واتباع الهوىٰ طريق الفساد والإفساد، ولذٰلك يقول الله ﷻ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون].



«أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ»؟

المطامع الدنيوية إذا تحكمت في الإنسان واستأثرت به تدفعه أن يسلك كل وسيلة لتحقيق غرضه المادي حتىٰ دينه يتخذه سُلَّماً للوصول إلىٰ مطامعه، وهنا نتذكر قصة اللص قاطع الطريق الذي شاهد مسافراً قادماً من بعيد وخشي اللص أن تفلت منه هٰذه الضحية، فأراد اللص أن يطمئنه بأنه ليس لصّاً أو قاطع طريق، وإنما هو مسافر مثله، وأنه من الذين يراقبون الله ويخافونه، واتجه نحو القبلة وشرع يصلي، فاعتقد الرجل المسكين فعلاً أن هٰذا الشخص الذي يراه من بعيد مسافراً مثله، وأنه من أهل التقوىٰ والصلاح ما دام يصلي في الطريق، فاطمأن وسار في طريقه آتياً في اتجاهه، ولا يدري أنه إنما يتجه نحو مصيدة، وأن هٰذه الصلاة إنما هي شبكة قد أعدها هٰذا اللص له ليوقعه فيها، وما أن وصل الرجل عنده حتىٰ انقض عليه هٰذا اللص المصلي، وأشهر عليه سلاحه طالباً منه أن يترك كل ما عنده من مال ويذهب بعيداً إن أراد أن يسلم من الموت المحقّق، فقال له الرجل: ويحك لقد رأيتك تصلي، وهٰذا الذي جعلني أطمئن إليك، فما هٰذه الصلاة التي تصليها وأنت تريد أن تأخذ مالي أو تقتلني؟ فقال له: إنما كنت أصلي لك لتقترب، وذهبت مثلاً، وفي مثل ذٰلك قال شريك بن عبد الله القاضي:

صَلَّىٰ وَصَامَ لِدُنْيَا كَانَ يَأْمُلُهَا فَقَدْ أَصَابَ فَلَا صَلَّىٰ وَلَا صَامَ

وكذٰلك النسَّاك والمتصوِّفة الذين ظهروا في التّاريخ الإسلامي ولا زالوا في كل عصر من عصور الإسلام يتظاهرون بالتنسُّك والتعبّد، والتصوّف والزّهد، وبعضهم اتّخذ من الأضرحة والقبور مصائد لجمع المال وتحصيله، يقول محمود الوراق:

أَظْهَرُوا لِلنّاسِ زُهْداً وَعَلَىٰ الْمَنْقُوشِ دَارُوْا

وَلَـــهُ صَـــلُّـــوا وَصَـــامُـــوا   وَلَـــــهُ حَـــــجُّـــــوا وَزَارُوا
لَـــوْ عَـــلَا فَـــوقَ الـــثُّـــرَيَّـــا   وَلَـــهُـــمْ رِيْـــشٌ لَـــطَـــارُوا

إن بعض الناس يجهلون دينهم ويخدعون أنفسهم عندما يمارسون الازدواجية، فيكثرون من الحجّ والعمرة والصلاة والصّيام وغير ذٰلك من الشعائر التعبّديّة ومع ذٰلك لا يتورّعون عن الظلم والجور والفساد وأخذ المال من حلال أو حرام، وفي هٰذا يقول المعري:

سَبِّحْ وَصَلِّ وَطُفْ بِمَكَّةَ زَائِراً   سَبْعِينَ لَا سَبْعاً فَلَسْتَ بِنَاسِكِ
جَهِلَ الدِّيَانَةَ مَنْ إِذَا عَرَضَتْ لَهُ   أَطْمَاعُهُ لَمْ يُلْفَ بِالمُتَمَاسِكِ

ومن هٰؤلاء من يتقرب ويتزلّف بتدينه إلىٰ الحكّام. يقول المعري أيضاً:

تَدَيَّنَ غَاوِيْهِمْ حِذَارَ أَمِيْرِهِمْ   فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ ذَهَبَ النُّسْكُ
فَأَصْبَحَ مِنْ بَعْدِ التَّمَسُّكِ بِالتُّقَىٰ   لِأَرْدَانِهِ مِنْ طِيْبِ فَاجِرَةٍ مَسْكُ
وَهَلْ يَنْفَعُ التَّمْسِيْكُ وَالمَسْكُ تَحْتَهُ   خَبِيْثٌ نبيثٌ وَالَّذِيْ فَوْقَهُ المِسْكُ؟
عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ   فَإِنَّ الَّذِيْ نَصَّ الرِّكَابَ سَيَبْرُكُ

وقال عن أمثالهم القاضي الجرجاني:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ   وَلَو عَظَّمُوهُ فِيْ النُّفُوسِ لَعُظِّمَا
وَلَـكِنْ أَذَلُّـوهُ فَـهَـانَ وَدَنَّـسُـوا   مُحَيَّاهُ بِالأَطْمَاعِ حَتَّىٰ تَجَهَّمَا

وهٰذا الصنف من الناس تجدهم في كل زمن وعصر، وكتب التاريخ والسير والمواعظ مليئة بأخبارهم.

إن أكثر الناس يجهلون أن الشرك أخفىٰ من دبيب النمل كما قال رسول الله ﷺ[1]، فهم قد لا يرون أن اتباع الهوىٰ وتجاوز الحق من الشرك،

(١) الحديث جاء عَنْ مَعْقِلَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ**؟ قَالَ: **قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ**» =

والواقع أن الهوىٰ الذي يعبده الإنسان ويتخذه إلٰهاً قد يتمثل في الجاه والمال والمنصب والتعصب للأهل والعشيرة، وهناك نماذج من الناس لا يتقيدون بموازين مضبوطة ولا مقاييس معلومة، فانفلتت من أنفسهم كل المعايير الثابتة فلا تخضع إلا لهواها، ولا تحكّم إلا شهواتها، فهم يتعبدون ذواتهم ومصالحهم ومطامعهم، ولا يعترفون بقاعدة ولا حدّ، ولا يخضعون لميزان، فلا جدوىٰ للمنطق معهم، ولا قيمة للحقيقة عندهم، ولا وزن للحجة لديهم، والشرير هو الذي يقول: أنا الإلٰه وليس شرطاً أن يصرح بذٰلك بل يدل عليه سلوكه، فلا رأي إلا رأيه، ولا قول إلا قوله، ولا تصرف صحيح إلا تصرفه، ويطلق لنفسه العنان فيما يرغبه ويحبه ويميل إليه، حتىٰ لو كان في ذٰلك حيف بالآخرين وضرر علىٰ الناس، ولذٰلك نرىٰ القرآن الكريم يطالب المؤمنين بالالتزام بالعدل والقسط حتىٰ يكون صفة واضحة فيهم وملازمة لهم، وجعل من مسؤوليتهم فرضه علىٰ البشرية قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء]، وهو هنا يهددهم، ويحذرهم عن الإعراض عن العدل بأنه خبير بعملهم، وكراهية الآخرين لأي سبب كان لا تخوّل الإجحاف بحقوقهم وظلمهم، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة].

إن الله ﷻ في القرآن الكريم قد حذّر الذين يتعبدون أهواءهم، ويحكّمون شهواتهم، ويتنكّرون للحجة، فشبّههم بالأنعام؛ إذ لا يميز الإنسان عن البهيمة إلا الاستعداد للتدبّر والإدراك، والاقتناع بالمنطق، والوقوف عند الحجة، وحين يتجرد الإنسان عن هٰذه الخصائص يكون أحط من البهيمة؛

= «الأدب المفرد» للبخاري (٧١٦) قال الألباني: صحيح، «صحيح الجامع» (٣٧٣١)، «إتحاف الخيرة المهرة» للبوصيري (٣٩٤).

لأن البهيمة بما أودعها الله من استعداد تؤدّي وظيفتها أداء كاملاً، في حين أن الإنسان يهمل خصائصه، ويتمادىٰ في الطغيان والانحراف، قال الله ﷻ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان]، وهوىٰ المؤمن ينبغي أن يكون تبعاً لِمَا جاء به ﷺ، ويُروىٰ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِما جِئْتُ بِهِ**»[1]. فالذي يريد أن يكون ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من دين وحق وعدل تبعاً لهواه، ويتّخذ كل ذٰلك وسيلة لأغراضه ومطامعه فليس بمؤمن وإن خدع نفسه في ادعائه الإيمان، إنه كمهاجر أم قيس الذي لا همَّ له من الهجرة إلا اللحاق بأم قيس[2]، والذي قال عنه رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ**

---

(١) «السنة» لابن أبي عاصم رقم (١٥)، «شرح السنة» للبغوي رقم (١٠٤)، ذكره البخاري بصيغة التمريض في كتابه «رفع اليدين في الصلاة» رقم (٤٥)، وقال النووي في الأربعين: حديث حسن صحيح رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح، قال ابن رجب: تصحيح هٰذا الحديث بعيد جداً من وجوه. ثم ذكرها، انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤)، وضعفه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٣٦)، والحديث وإن كان ضعيفاً إلا أن لصحة معناه شواهد قرآنية مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال جل في علاه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

(٢) عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَنْ هَاجَرَ يَبْتَغِي شَيْئاً فَهُوَ لَهُ»، قَالَ: «هَاجَرَ رَجُلٌ لِيَتَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا: أُمُّ قَيْسٍ، وَكَانَ يُسَمَّىٰ مُهَاجِرَ أُمِّ قَيْسٍ». «المعجم الكبير» للطبراني (٨٥٤٠)، قال الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٤/ ٣٥٢): أخرجه الطبراني بإسناد جيد. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٦٩): رجاله رجال الصحيح. وعن قصة مهاجر أم قيس قال الحافظ المزي: إسنادها صحيح. «تهذيب الكمال» للمزي (١٦/ ١٢٦)، وكذا الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٩٠).

كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[١].

نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وألا يجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.



(١) «صحيح البخاري» (٥٠٧٠)، «صحيح مسلم» (٥٠٣٦)، «مسند أحمد» (١٦٨).
ذهب بعض العلماء إلىٰ أن قصة مهاجر أم قيس سبب لورود حديث إنما الأعمال بالنيات، المذكور، ومن هٰؤلاء العلماء: ابن دقيق العيد في «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» (١/ ١٣)، وكذٰلك شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواطن من «الفتاوىٰ» (١٨/ ٢٥٣)، (٢٠/ ٢٢٢)، (٢٢/ ٢١٨)، (٢٧/ ٤٧)، وكذٰلك الإمام السيوطي في «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» (٢/ ٣٩٤)، وقال في «ألفيته» (ص١٠٦) فيما يتعلق بأسباب الأحاديث:

مِثْلُ حَدِيثِ «إِنَّمَا الأَعْمَالُ» سَبَبُهُ فِيمَا رَوَوْا وَقَالُوا
مُهَاجِرٌ لأُمِّ قَيْسٍ كَيْ نَكَحْ مَنْ ثَمَّ ذِكْرُ امْرَأَةٍ فِيهِ صَلَحْ

وأنكر بعض العلماء أن يكون حديث الأعمال بالنيات سبب وروده قصة مهاجر أم قيس منهم: الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٧٤ ـ ٧٥)، الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الفتح» (١/ ٣٢)، الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه «التأصيل» (ص٧٣).

الإِسْلَامُ لَهُ السَّبْقُ فِيْ سَنِّ مَبْدَأِ اسْتِقْلَالِ القَضَاءِ

حينما سنت الدساتير في العصر الحديث تضمنت النص علىٰ استقلال القضاء، وأن القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون، ولا يجوز لأية سلطة التدخل في القضايا أو في شؤون العدالة. وقد وضعت ضمانات لاستقلال القضاء تكفل للقاضي استقلاله في الرأي والحيدة والتجرد في أحكامه، وعُدَّ القاضي هو الأمين علىٰ الأنفس والحريات والحارس للشرف والعرض والمال، وكل ما هو عزيز عند الناس، وأصبح القاضي هو الركيزة الأساسية التي تقوم عليها خدمة العدالة في أي نظام متقدم وناجح، ولذٰلك نرىٰ في الغرب الآن الحرص علىٰ استقلال القضاء، ووضعت الأسس لاختيار وتعيين القضاة لضمان سير العدالة، فالعدل ورفع الظلم عن المظلومين طريق لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع، وهو هدف تسعىٰ إليه كل الشعوب وقادتها المخلصون في هٰذا العالم.

وعندما نعود إلىٰ تاريخ الإسلام ونقرأ في كتاب الله العزيز وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، نجد أن الإسلام سبق الكثير من هٰذه النظم اليوم في الغرب والشرق في مسائل العدالة واستقلال القضاء، فشريعة الإسلام جعلت إقامة العدل وتعميمه في المجتمعات الإنسانية هدفاً من إرسال الرسل وإنزال الشرائع والأحكام قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وإذا كان البعض يعتقد أن الثورة الفرنسية هي التي جاءت بمبدأ استقلال القضاء حينما نادت بالفصل بين السلطات فهو جاهل بالتاريخ. فقد نص فقهاء الإسلام علىٰ هٰذا الاستقلال في كتبهم، مثل كتاب «تبصرة الحكام» لابن فرحون المالكي، و«معين الحكام» للطرابلسي، وجاء في كتاب «الفتاوىٰ

الهندية» نفس النص الذي استعمله القانونيون اليوم وهي كلمة التدخل في القضاء، فسمي الحاكم الذي يتدخل في القضاء بالسلطان الجائر[1]، وقد جعلوا من حديث الرسول ﷺ: «**مَنْ أَعَانَ عَلَىٰ خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ فِيْ سَخَطِ الله حَتَّىٰ يَنْزِعَ**»[2] قاعدة للاستقلال الوظيفي، فهـٰذاً النهي عام يشمل الحاكم وأعوانه وكل من لديه سلطة، وقصة القاضي سوار بن عبد الله قاضي البصرة مع الخليفة المنصور معروفة ومشتهرة في كتب التاريخ[3].

وتولية الأصلح من أهم مبادئ العدالة واستقلال القضاء. والعدالة معناها عند فقهاء الإسلام ليست العدل فقط وإنما تعني «أَنْ يَكُونَ صَادِقَ اللَّهْجَةِ ظَاهِرَ الْأَمَانَةِ، عَفِيفاً عَنْ الْمَحَارِمِ، مُتَوَقِّياً الْمَآثِمَ، بَعِيداً مِنْ الرِّيَبِ، مَأْمُوناً فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، مُسْتَعْمِلاً لِمُرُوءَةِ مِثْلِهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، فَإِذَا تَكَامَلَتْ فِيهِ فَهِيَ الْعَدَالَةُ الَّتِي تَجُوزُ بِهَا شَهَادَتُهُ وَتَصِحُّ مَعَهَا وِلَايَتُه، وَإِنْ انْخَرَمَ مِنْهَا وَصْفٌ مُنِعَ مِنْ الشَّهَادَةِ وَالْوِلَايَةِ فَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ قَوْلٌ وَلَمْ يَنْفُذْ لَهُ حُكْمٌ»[4].

---

(١) ينظر: «الفتاوىٰ الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان» (٣/ ٣٠٧)

(٢) «المستدرك» علىٰ «الصحيحين» للحاكم (٧٠٥١) قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في «التلخيص». «سنن ابن ماجه» (٢٣٢٠)، وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٤٩): صحيح.

(٣) القاضي سوار بن عبد الله له مواقف مع الخليفة المنصور منها: أن أهل البصرة شكوه إلىٰ المنصور فاستقدمه المنصور، فلما قدم عليه جلس فعطس المنصور فلم يشمته سوار، فقال له المنصور: ما لك لم تشمتني؟ فقال: لأنك لم تحمد الله، فقال المنصور: أنت ما حابيتني في عطسة تحابي غيري! ارجع إلىٰ عملك. «شعب الإيمان» للبيهقي (٩٣٣٣)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢/ ٣٢٥)، «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (٢٢٩)، ومن ذٰلك أيضاً: أن المنصور كتب إليه: انظر التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر فادفعها إلىٰ القائد. فكتب إليه سوار: إن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر فلست أخرجها من يده إلا ببينة. فكتب إليه المنصور: والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنها إلىٰ القائد. فكتب إليه سوار: والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتها من يد التاجر إلا بحق. فلما جاءه الكتاب، قال: ملأتها والله عدلاً، وصار قضاتي تردني إلىٰ الحق. «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢/ ٣٢٥)، «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (٢٢٩).

(٤) «الأحكام السلطانية» (٨٩).

وقال عمر بن عبد العزيز في خصال القاضي: «لا ينبغي للرجل أن يكون قاضياً حتىٰ تكون فيه خمس خصال: يكون عالماً قبل أن يستعمل، مستشيراً لأهل العلم، مكفتاً للزيغ، منصفاً للخصم، محتملاً للأئمة»[1]. وقال بعضهم: «أن يكون القاضي غير مستكبر عن مشورة أهل العلم، ورعاً ذكياً فطناً، متأنياً غير عجول، نزهاً عما في أيدي الناس، عاقلاً مرضيّ الأحوال غير مخدوع، موثوقاً في دينه، وقوراً، متواضعاً من غير ضعف، لا يطلع الناس فيه علىٰ عورة، ولا يخشىٰ في الله لومة لائم»[2]. فهٰذه صفات هي ضمان لعدالة القاضي.

كما يجب أن يتمتع القاضي بالحصانة لكي يقيم ميزان العدل من غير حيف ولا ميل، فلا يخشىٰ علىٰ مستقبله ووظيفته، فيطمئن وهو يصدر الأحكام طبقاً للعدل والإنصاف، فالقاضي الوجل خطر علىٰ العدل. ولما كان القضاء من أعظم المناصب وأخطرها تولاه الرسول ﷺ بنفسه ليكون قدوة للقضاة المسلمين، وقد أمره الله ﷻ بالقضاء بين الناس والحكم بينهم بالعدل وبما أنزل الله فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء:٥٨]. وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]. وقال جل في علاه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء]. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾ [النساء:١٣٥]، وقال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة]، وقال الحكيم سبحانه: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ

---

(١) «أخبار القضاة» للضبِّي (١/ ٧٨)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٥/ ٢٠١).

(٢) «تبصرة الحكام» لابن فرحون اليعمري (الجزء الأول/ ٢٣ ـ ٢٤).

فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢]. وقال جل وعز: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾ [المائدة:٤٨].

ومما تقدم تبين أن الإسلام قد اعتنىٰ بالقضاء أعظم عناية، وأنه سبق كل النظم في الغرب والشرق إلىٰ سنّ مبدأ استقلال القضاء الذي يفخر به الغرب اليوم، وعلىٰ المسلمين خاصة والناس عامة أن يعودوا إلىٰ ما شرعه الله في دينه وهو الحنيفية السمحة التي بعث بها خير البشرية، نبينا محمد ﷺ، فلا حق أحق منها، والحق أحق أن يتّبع.



الْعَدَالَةُ فِي حُكْمِ الْإِسْلَامِ

هناك قضية ذكرها القرآن وأَولَاها أهمية كبرىٰ وخصّها الله بعدد من الآيات، تتعلق بالعدل وهي النهي عن الخصومة في الباطل، والنيابة عن المبطل في الخصومات. فقد قيل: إن طعمة بن أبيرق، سرق درعاً واتهم يهودياً اسمه زيد بن السّمين بسرقتها، وجاء قوم طعمة إلىٰ النبي ﷺ وناشدوه أن يدفع التهمة عن طعمة لأن اليهودي في نظرهم هو السارق، ولم يكن لدىٰ اليهودي من يدافع عنه، فأنزل الله تعالىٰ براءته في القرآن الكريم، وأنزل الأحكام الواجبة في ذٰلك فكانت هـٰذه الآيات: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩) وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١١٠) وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ

وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء][1].

فالقضاء الإسلامي قد تبين من تاريخه أنه يعتمد علىٰ أصول وقواعد تحفظ عدالته وقوة مكانته في المجتمع مما جعل له الاحترام والتقدير عند كل الأمم، وهناك إعجاب من المفكّرين والمؤرخين في الغرب بنظام الإسلام، ومنهم المؤرخ المشهور غوستاف لوبون، والمؤرخ دوزي، والدكتور مورس، وحكيم بريطانيا برنارد شو، والمفكر البريطاني توماس كارليل الذي له كتاب سماه «الأبطال» ذكر فيه إعجابه بالإسلام وبالنبيّ محمد عليه الصلاة والسلام، وكلهم يذكر الحديث الذي قاله رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ؛ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[2]، ويذكرون رسالة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ التي وجهها إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري عن القضاء والتي نصها: «من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلىٰ عبد الله بن قيس ـ يعني: أبا موسىٰ الأشعري ـ سلام عليك، أما بعد: إِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، فَافْهَمْ إِذَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا نَفَاذَ لَهُ، وَآسِ بَيْنَ النَّاسِ فِيْ وَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَقَضَائِكَ حَتَّىٰ لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِيْ حَيْفِكَ، وَلَا يَيْأَسَ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ، الْبَيِّنَةُ عَلَىٰ مَنِ ادَّعَىٰ وَالْيَمِينُ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ، وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحاً أَحَلَّ حَرَاماً أَوْ حَرَّمَ حَلَالاً، وَمَنِ ادَّعَىٰ حَقّاً غَائِباً أَوْ بَيِّنَةً فَاضْرِبْ لَهُ أَمَداً يُنْتَهَىٰ إِلَيْهِ؛ فَإِنْ جَاءَ بِبَيِّنَةٍ أَعْطَيْتَهُ بِحَقِّهِ، فَإِنْ أَعْجَزَهُ ذَلِكَ اسْتَحْلَلْتَ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةَ فَإِنَّ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِيْ الْعُذْرِ وَأَجْلَىٰ لِلْعَمَىٰ، وَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ الْيَوْمَ فَرَاجَعْتَ فِيهِ لِرَأْيِكَ، وَهُدِيتَ فِيهِ لِرَشَدِكَ أَنْ تُرَاجِعَ الْحَقَّ؛ لأَنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ، لَا يُبْطِلُ الْحَقَّ شَيْءٌ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِيْ فِيْ الْبَاطِلِ، وَالْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِيْ

(١) ينظر: «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٩/١٧٦وما بعدها).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٤٧٥)، «صحيح مسلم» (٤٥٠٥)، «مسند أحمد» (١٥١٨٨).

الشَّهَادَةِ إِلَّا مَجْلُودٌ فِيْ حَدٍّ، أَوْ مُجَرَّبٌ عَلَيْهِ شَهَادَةُ الزُّورِ، أَوْ ظَنِينٌ فِيْ وَلَاءٍ أَوْ قَرَابَةٍ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ تَوَلَّىٰ مِنَ الْعِبَادِ السَّرَائِرَ، وَسَتَرَ عَلَيْهِمُ الْحُدُودَ إِلَّا بِالْبَيِّنَاتِ وَالأَيْمَانِ، ثُمَّ الْفَهْمَ الْفَهْمَ فِيمَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ مِمَّا لَيْسَ فِيْ قُرْآنٍ وَلَا سُنَّةٍ، ثُمَّ قَايِسِ الأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَاعْرِفِ الأَمْثَالَ وَالأَشْبَاهَ؛ ثُمَّ اعْمِدْ إِلَىٰ أَحَبِّهَا إِلَىٰ اللهِ فِيمَا تَرَىٰ وَأَشْبَهِهَا بِالْحَقِّ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ، وَالْقَلَقَ، وَالضَّجَرَ، وَالتَّأَذِيْ بِالنَّاسِ عِنْدَ الْخُصُومَةِ، وَالتَّنَكُّرَ؛ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فِيْ مَوَاطِنِ الْحَقِّ يُوجِبُ اللهُ لَهُ الأَجْرَ وَيُحَسِّنُ بِهِ الذُّخْرَ، فَمَنْ خَلَصَتْ نِيَّتُهُ فِيْ الْحَقِّ وَلَو كَانَ عَلَىٰ نَفْسِهِ كَفَاهُ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ تَزَيَّنَ لَهُمْ بِمَا لَيْسَ فِيْ قَلْبِهِ شَانَهُ اللهُ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً، وَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابِ غَيْرِ اللهِ فِيْ عَاجِلِ رِزْقِهِ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ»[1].

ومن الكتّاب المسلمين المتميزين الذين قدّموا أبحاثاً في مجال القضاء القاضي الأديب الأستاذ علي الطنطاوي رحمه الله في كتابه: «قصص من التاريخ» وقد نقل عنه الأستاذ مصطفىٰ البارودي في: «مجلة رابطة العالم الإسلامي» التي خصصت عدداً من المجلة لدراسة حقوق الإنسان في الإسلام موضوعاً مشهوراً في التاريخ الإسلامي وهو فتح سمرقند في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، قال كاتب المقال: «ولقد كان في وسعي أن أعرض مثلاً القضية التي انتهىٰ فيها الفاروق عمر بن الخطاب إلىٰ ذٰلك القول المأثور: «متىٰ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»[2]. والحرية من أهم حقوق الإنسان جميعاً، ولٰكني حرصت علىٰ أن أقدم قضية تبرز فيها كفالة حق الإنسان في اللجوء إلىٰ القضاء حتىٰ في صدد السياسة الخارجية للدولة حتىٰ لو كان المشتكىٰ منه هو جيش دولة الإسلام، إذ قَبِلَ القضاء الإسلامي قبل نحو

---

(١) «سنن الدارقطني» (٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، «السنن الكبرىٰ» للبيهقي (٢٠٣٢٤)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢٦١٩).

(٢) «محض الصواب في فضائل ابن الخطاب» لابن عبد الهادي المبرد (٢/ ٤٧٣).

ثلاثة عشر قرناً، النظر في قضية يحجب القضاء الإداري الفرنسي هو نفسه عن نفسه حق النظر فيها، أساس قضيتنا هٰذه أن الفاتح العربي المسلم الكبير قتيبة بن مسلم مضىٰ وراء مطلع الشمس يفتح أقاليم الشرق واحداً بعد آخر، وكلما فتح إقليماً خلفه وراءه في عهده عامل ينصبه علىٰ الإقليم ليديره باسم أمير المؤمنين في عاصمة الحكم، والذي وقع عند فتح سمرقند علىٰ يد قتيبة أن خالف الفاتح ما أوجبه القرآن الكريم والسنة الشريفة، فأرسل أهل سمرقند رسولاً منهم بشكواهم إلىٰ الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، حتىٰ إذا عاد موفدهم بعد طول المسير وفي يده ورقة صغيرة بخط الخليفة إلىٰ عامله في سمرقند؛ فقد رأىٰ القوم عجباً عجاباً، فما أن قرأ العامل الورقة حتىٰ لبّىٰ أمر الخليفة، فطلب إلىٰ القاضي جميع بن حاضر أن ينظر في دعوىٰ أهل سمرقند، وسرعان ما انعقد مجلس القضاء وجلس الخصمان بين يدي القاضي لا فاضل ولا مفضول؛ العامل ممثل الخليفة وكبير أهل سمرقند، فلما تأكّد القاضي أن قتيبة قد فتح سمرقند بدون منابذة مخالفاً في ذٰلك أحكام الإسلام فقد حكم ذٰلك القاضي بخروج جيش المسلمين من سمرقند، وتأَهَّب الجيش لمغادرة المدينة تنفيذاً لحكم القضاء، ورأىٰ أهل سمرقند هٰذا المشهد المفرد في تاريخ الحروب وتاريخ القضاء، فحالوا بين جيش المسلمين وبين الخروج من سمرقند، ودخلوا هم في دين الله أفواجاً[1]، وهٰذا ما جعل كل الناس يشعرون بعظمة الإسلام وعدالة القضاة الأبرار، ولو كان الذي يحكمون عليه أقوىٰ الأقوياء في الدولة لأن القاضي الذي يضع خشية الله وحده بين عينيه، يحكم بالحق حتىٰ علىٰ الدولة وأصحاب السلطة، فالحكم لله وحده».

والمعروف أن الإسلام نظر إلىٰ العدل نظرة عامة شاملة كان لها أكبر الأثر في توجيه التشريع العام الذي ينتظم كافة العلاقات والمعاملات الإنسانية سواء كانت بين المسلمين بعضهم مع بعض أم كانت بين المسلمين وغيرهم من سائر الملل والنحل، فليس في الإسلام تحيز أو تعصب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

(١) ينظر: «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٤/ ٦٩).

وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [المائدة] قال القرطبي: «ودلت الآية أيضاً علىٰ أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه»[1]. فما أعظمه من دين!!

هـٰذا هو ديننا، وهـٰذه هي شريعتنا تأمرنا بالعدل ولو مع غيرنا من أبناء الملل والنحل، ومن أعظم العدل استرجاع الحقوق المغصوبة وردها إلىٰ أصحابها، ونصرة المظلومين، ومن أعظم الحقوق المغصوبة اليوم الأقصىٰ الشريف، عجل الله بفك أسره من أيدي الصهاينة الغاصبين المعتدين.



(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٦/ ١١٠).

الإِسْلَامُ دِيْنُ العَدْلِ وَالسَّلَامِ

الإسلام منذ بزوغ فجره وإشراق نوره دعا إلىٰ السّلام، ومن لفظ السّلام اشتق اسم الإسلام، ورب العالمين سمّىٰ نفسه السّلام: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر:٢٣]، وكلمة الرضا علىٰ عباده المتقين الذين اتبعوا هداه السّلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه:٤٧]، ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]. وتحية المسلمين السّلام، وكلمة المؤمنين التي يقابلون بها سفاهة الجاهلين السّلام: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان]، وجنة المؤمنين في دار الآخرة دار السّلام: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام]، والله سبحانه دعا الناس إليها لينالوا السّلام: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس] ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة]، وتحية المؤمنين في الجنة السّلام: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ﴾ [يونس:١٠]، والله يهدي باتباع كتابه والعمل به سبل السّلام: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة]، ودعا المؤمنين إلىٰ الدخول في السِّلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة].

وأرسل الله محمداً ﷺ رحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، فنبينا ﷺ هو الذي رفع راية السّلام، ولٰكن السّلام لا يعني مسالمة العدوان وإلا كان استسلاماً للظلم، والله سبحانه كما سمّىٰ نفسه

السّلام سمّىٰ نفسه الحكم العدل، فالعدل والحكم بالقسط هو أساس كل سلام، وهو أساس العلاقات بين البشر، وإذا لم يتحقق العدل فليس هناك سلام ولا أمان ولا اطمئنان، بل ستبقىٰ الحرب قائمة ما بقي الظلم والعدوان حتىٰ يتحقق السلام القائم علىٰ العدل، وما يحدث في فلسطين اليوم من حرب خير شاهد علىٰ ذٰلك، فإسرائيل دولة مغتصبة ظالمة، وتصر علىٰ أن القدس هي العاصمة الأبدية لها، فمعنىٰ ذٰلك استمرار الحرب حتىٰ تعاد القدس إلىٰ المسلمين.

وأما ما يسمىٰ بحالة السلام وما فيها من محاولات للتهدئة والتطبيع إنما هي تمهيد لتصفية القضية كلها علىٰ لا شيء، وليعيش من بقي من الفلسطينيين في فلسطين في كنف الدولة العبرية في ذل ومهانة.

إنه لمن المعلوم المشاهد أنه لم يبق إلا منطق القوة الذي أصبح بيد إسرائيل، أما قوة المنطق وحدها فلم تعد لها فائدة ولا جدوىٰ في النظام العالمي الجديد لأنه يريد سلاماً بلا عدل، القوي فيه يأكل الضعيف، والخصم هو الحكم.

إِذَا كَانَ الْقَضَاءُ إِلَىٰ ابْنِ آوَىٰ   فَتَعْدِيْلُ الشُّهُوْدِ إِلَىٰ الْقُرُوْدِ

لقد أعانت الدول الغربية اليهود علىٰ احتلال أرض المسلمين انتقاماً للحروب الصليبية، وهي تعلم أن الإنسانية كم عانت في تاريخها الطويل من مكائد بني صهيون حتىٰ حلّ ما حلّ بهم علىٰ أيدي النازيين في ألمانيا، كما تريد الدول الغربية أن تعوضهم عن ذٰلك باحتلال أرض المسلمين أيضاً فتضرب عصفورين بحجر. ألا فليتنبه المسلمون إلىٰ ذٰلك وإلا ندموا حين لا ينفع الندم.

يقول زيد بن الصمة:

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَىٰ   فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَىٰ الْغَدِ

إن علينا معشر المسلمين مسؤولية كبرىٰ نحو القدس، فهل ننهض بهٰذه المسؤولية؟

إن ديننا الإسلامي لا يقبل إلا العدل فهو الأساس والناس عنده كأسنان المشط، وإقامة العدل ورفع الظلم مسؤولية الأمة كلها، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال جل في علاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [المائدة].

إن ديننا ليس طقوساً ورسوماً كما هو عند غيرنا، إن ديننا حرمات وشعائر بيّن ربنا سبحانه أن تعظيمها سبب لنيل رضاه وسعادة الدنيا والآخرة: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ومن تعظيم شعائر الله أن نؤمن بواجبنا في تخليص المسجد الأقصىٰ من دنس الصهيونية، ولنحذر من أولئك الذين يخدعوننا بمعسول الكلام: ﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨].

إن وقوفنا لنصرة المظلومين من إخواننا المسلمين هو واجب شرعي، وهو كذٰلك سعي لنشر العدل الذي بعث به سيد المرسلين وخاتم النبيين عليه صلوات ربي وسلامه. إنا أمة مأمورة بالعدل بنصرة المظلوم والأخذ علىٰ يد الظالم، وبهٰذا تنجو سفينة الحياة، ففي حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَىٰ حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَىٰ سَفِينَةٍ؛ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً**»[١].

(١) «صحيح البخاري» (٢٤٩٣)، «مسند أحمد» (١٨٣٨٧)، «سنن الترمذي» (٢١٧٣).

هٰذا هو العدل الذي جاء به ديننا دين الحنيفية السمحة وأمرنا به معاشر المسلمين، نقيمه علىٰ أنفسنا وعلىٰ غيرنا.

إن تشريعات هٰذا الدين العظيم ناطقة بالعدل، داعية إليه، آمرة به، فهو روح هٰذه الشريعة الغراء، والحنيفية السمحة، فالله سبحانه الذي تسمىٰ بالعدل، شرّع العدل، وأمر بالعدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل]، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨**﴾ [النساء].

إنّ رسولنا ﷺ الذي بعث بالعدل أقام العدل وحكم به، وكان يرىٰ أن لصاحب الحق حقاً في المطالبة بحقه ولو منه ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ، فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً**، ثُمَّ قَالَ: **أَعْطُوهُ سِنّاً مِثْلَ سِنِّهِ**. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ. ـ وفي رواية: لَا نَجِدُ إِلَّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ ـ فَقَالَ: **أَعْطُوهُ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً**»[1]، وعلىٰ هٰذا العدل الذي بعث به ﷺ وأقامه علىٰ نفسه مشىٰ خلفاؤه من بعده، وفي كتب التاريخ مما جاء في سير أولئك الأفذاذ شيء كثير فمن ذٰلك: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَأْمُرُ عُمَّالَهُ يَتَوَافَوْنَهُ الْمَوسِمَ، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَا لَمْ أَسْتَعْمِلْ عُمَّالَكُمْ، أَوْ قَالَ: عُمَّالي، لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ، وَلَا لِيَأْخُذُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ، وَلَا مِنْ أَعْرَاضِكُمْ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَسْتَعْمِلُهُمْ عَلَيْكُمْ لَيحجزوا بَيْنَكُمْ وَلْيَقْسِمُوا فِيئَكُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَلْيَقُمْ، قَالَ: فَمَا قَامَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَامِلُكَ ضَرَبَنِي مِئَةَ سَوْطٍ، قَالَ: قُمْ فَاسْتَقِدْ مِنْهُ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْ هَذَا عَلَىٰ عُمَّالِكَ يَكُونُ سُنَّةً

(١) «صحيح البخاري» (٢٣٠٦)، «صحيح مسلم» (٤١٩٤)، «مسند أحمد» (٩٨٨١).

يُسْتَنُّ بِهَا بَعْدَكَ، فَقَالَ: أَنَا لَا أَقِيدُ مِنْهُ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقِيدُ مِنْ نَفْسِهِ؟ قَالَ عَمْرٌو: دَعْنَا فَلْنُرْضِهِ، قَالَ: فَأَرْضَوْهُ. قَالَ: فَافْتَدَوْا مِنْهُ بِمَائَتِي دِينَارٍ، كُلُّ سَوْطٍ بِدِينَارَيْنِ[1].

هكذا تعاليم ديننا دين الحنيفية السمحة دين العدل والسلام والأمن والأمان، فلا عدل ولا إسلام ولا أمان إلا في ظل شريعة الإسلام والإيمان.



(١) «إتحاف الخيرة المهرة» للبوصيري (٥/ ٦٤).

الإِسْلَامُ دِيْنُ العَدَالَةِ وَالشُّوْرَىٰ

يتألم كل مسلم عندما يسمع في بعض الفضائيات أشخاصاً يتحدثون بكلام فيه تخوف من الإسلام، ويتهجمون علىٰ أحكامه، ويخشون من دعاة الإسلام أن يأتوا إلىٰ الحكم ويطبقوا أحكام الإسلام في المجتمعات. ونقول لهـٰؤلاء: ارجعوا أولاً إلىٰ التاريخ، واقرؤوا آيات القرآن الكريم وسيظهر لكم الحق من الباطل إن كنتم تريدون الحق. فعندما بعث رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام وجاء إلىٰ المدينة كانت هناك تفرقة بين الناس وعدم مساواة، ومثال ذٰلك أن بني النضير وبني قريظة من قبائل اليهود كان النضري إذا قتل القرظي لا يقتل النضري لقتله القرظي بينما إذا قتل القرظي النضري يقتل القرظي، وهو في عرفهم أن الرجل من بني النضير يساوي رجلين من قريظة، وإذا قتل النضري رجلاً من قريظة عمداً يدفع فقط مائة وسق من التمر، فالنضير عندهم أشرف من قريظة، ولـٰكن عندما جاء الإسلام إلىٰ المدينة وقد قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة لم يكن هناك مجال إلا أن يتحاكموا إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام، ونزلت علىٰ رسول الله ﷺ الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]؛ أي: النفس بالنفس، فحكم بينهم(١)، ونزلت آيات القرآن الكريم لتبين ما كان في التوارة والإنجيل من عدالة، وانحراف في اليهود عن التوراة والنصارىٰ عن الإنجيل، وتحريفهما، قال تعالىٰ: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/١١٨ ـ ١١٩).

مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

كانوا يحكمون بالسحت أي أنهم أكلة الرشوة، قال تعالىٰ في مطلع نزول الآيات الآنفة الذكر: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة].

جاء في كتب التفسير: أنه كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فدعا اليهودي المنافق إلىٰ النبي ﷺ لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة ودعا المنافق اليهودي إلىٰ حكامهم مثل كعب بن الأشرف لأنه علم أنهم يأخذونها؛ وبسبب هٰذه القضية نزلت الآيات الكريمة[1]: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٤٦)، وصحح الحافظ ابن حجر هٰذه القصة في «الفتح» (٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨).

أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

فالحكام الطواغيت يأكلون السحت، ويعرف اليهود أن محمداً نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام ليس من الطواغيت، ويحكم بالعدل، ولا يأكل السحت. فعدالة الإسلام لا تساويها عدالة في أي نظام وضعي، والآيات في القرآن الكريم تبين ذٰلك وتبين مصير الظالمين، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الحديد:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات]، وقال سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورىٰ]، هـٰذا عن العدل. أما الظالمون الذين ينحرفون عن العدل فقد قال الله عنهم مبيناً موقفهم ومصيرهم: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور]، وقال جل وعز: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورىٰ:٨]، وقال جل في علاه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٥٧]، وقال

سبحانه: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء:١١]، وقال جل وعز: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]. فلا يجوز تولية الظالم في أي أمر من أمور المسلمين، والمسلمون مأمورون باختيار الأعدل والأصلح، وما أحسن أن يكون ذٰلك عن طريق مبدأ الشورىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ:٣٨]. وأهل الشورىٰ هم أهل الحل والعقد، وهم المُتَّبَعون في الأمة الذين تثق بهم وترضىٰ برأيهم لما عرف عنهم من الحرص علىٰ مصالحها، وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن[١]، ولا تجتمع أمتي علىٰ ضلالة كما جاء في الحديث الشريف[٢]. فالشورىٰ بضوابطها الإسلامية مبدأ عظيم، فيه تجتمع كلمة المسلمين وتأتلف قلوبهم، وذٰلك لما في الشورىٰ من اعتبار لآراء الآخرين، فلا استبداد بالرأي، ولا انفراد بالقول، فالكل في الشورىٰ يسعىٰ إلىٰ الوصول إلىٰ الحق والعدل وتحقيق رضوان الله. وهٰذا بخلاف ما قد نراه في النظم الوضعية كالديمقراطية

---

(١) موقوف علىٰ ابن مسعود رضي الله عنه، انظر: «مسند أحمد» (٣٦٠٠) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، «المستدرك» للحاكم (٤٤٦٥) قال الحاكم: هٰذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في «التلخيص». أما رفعه فلا أصل له؛ قاله الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٣٣)، وحسّنَ الموقوف في «تخريج أحاديث شرح الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص٥٣٠).

(٢) «مسند أحمد» (٢٧٢٦٧) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره. «سنن أبي داود» (٤٢٥٥)، «سنن ابن ماجه» (٣٩٥٠)، «المستدرك» للحاكم (٨٦٦٤) قال الحاكم: هٰذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد كتبناه بإسناد عجيب عال. ووافقه الذهبي في «التلخيص». «إتحاف الخيرة المهرة» للبوصيري (١/١٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٢٩) بلفظ: «**إِنَّ الله تَعَالَىٰ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِيْ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ وَيَدُ الله عَلَىٰ الجَمَاعَةِ**».

فإنها وإن كانت تعتد برأي الأغلبية في الظاهر وتأخذ به ولو كان فيه مخالفة صريحة لتعليمات القرآن. ولذٰلك نراهم في الغرب يأخذون برأي الأغلبية في إباحة الجنس وغيره، وهٰذا علىٰ خلاف ما نراه في الشورىٰ الإسلامية والتي هدفها الوصول للحق والعدل.

إن الذين لا يريدون أن يحكّموا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ويتضايقون من الشعارات التي ترفع اسم الإسلام لا شك أنهم غير مؤمنين وإن ادّعوا الإيمان، وتنطبق عليهم أوصاف المنافقين، فقد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور]، وقال عز وجل: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥]، وقال سبحانه: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [لقمان]، وقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]، وقال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف].

الإِسْلَامُ دِيْنُ العَدْل، فَلَا عُقُوْبَة إِلَّا بِذَنب

الرئيس الأمريكي السابق (بوش الابن) وقّع قانوناً يجيز التعذيب لمكافحة الإرهاب، وقد انتقدت جماعات حقوق الإنسان الأمريكية توقيع بوش علىٰ القانون الذي أجاز اعتقال الأشخاص لمدة غير محددة دون توجيه التهم لهم، وتعذيبهم في السجن، ومحاكمتهم بناء علىٰ أدلة غير ثابتة، وإجراء المحاكمات التي يمكن أن تصدر أحكاماً بالإعدام بناء علىٰ شهادات يتم انتزاعها من الشهود عن طريق الضرب، وتغلق أبواب المحكمة أمام الحصول علىٰ مذكرات اعتقال. وفي فرنسا صدر قانون يعاقب بموجبه كل من يشكك في تعرض الأرمن للإبادة في الدولة العثمانية، ووراء هٰذا القانون أغراض سياسية وحزبية. كما أن هناك قوانين في بعض الدول الغربية تعاقب من ينكر المحرقة التي يقال إن اليهود تعرضوا لها من قبل النازيين. وكل هٰذه القوانين مخالفة للعدالة؛ لأنها لا تحاكم من ارتكب الجريمة، ولا ندري ما هي جريمة الكاتب والمتحدث إذا أنكر شيئاً لا يراه صحيحاً، وهو لم يشارك في أي جريمة، ومع ذٰلك يزعم الغرب أنه حريص علىٰ العدالة، وهو أول من يحاربها في قوانينه، في حين نجد في التشريع الإسلامي كمال العدل، ففيه قاعدة شخصية العقوبة، فلا يسأل شخص عن جريمة شخص آخر، قال تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:١٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر]. وفي الإسلام لا حدَّ إلا ببينة، ولا عقوبة إلا بذنب، وتُدرأ الحدود بالشبهات، وأن الأصل في المسلم البراءة.

إن من الظلم في القضاء الذي يسيء إلىٰ العدالة أن تثبت التهمة الموجهة إلىٰ المتهم فيحاول قضاة المحكمة أن يفتعلوا البراءة للمتهم لمجرد العصبية والتحيز للمتهم بدون حجة، ومن ذٰلك ما حصل في الدنمارك عندما نشرت صحيفة دنماركية رسماً كاريكاتورياً مسيئاً لرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، وتسببت في موجة استنكارات شديدة في العالم الإسلامي، فقد جاء في محضر جلسة المحكمة أن هٰذه الرسوم ليست مسيئة، وأن القصد منها لم يكن الإساءة للمسلمين، فكان الحكم الصادر من المحكمة ببراءة المتهمين، مع أن الثابت أنهم قد أساءوا فعلاً إلىٰ رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام وإلىٰ المسلمين، ولٰكن الظلم والتعصب قد غلّب الباطل علىٰ الحق، فإنا لله وإنا إليه راجعون.



لَا ظُلْمَ فِيْ الإِسْلَامِ

لفت نظري خبر في إحدىٰ الصحف عن انفجار في تايلاند ويقول عنوان الخبر «مجموعة إسلامية وراء انفجار تايلاند» وقد جاء في الخبر: الذي نقلته إحدىٰ الوكالات من بانكوك: «أعلن مسلمون في تايلاند مسؤوليتهم عن تفجير عبوة خلال احتفال نظّم في إحدىٰ مدارس جنوب البلاد مما أسفر عن قتل ثلاثة أشخاص وإصابة (٢١) آخرين بجروح علىٰ ما ذكرت الشرطة، وكانت العبوة موضوعة في سلة للقمامة وانفجرت خلال وجود حشد كبير داخل المدرسة في مناسبة احتفال أقيم لجمع التبرعات، وقالت السلطات: إن الانفجار هو الأخطر في هٰذه المقاطعة المجاورة لماليزيا والتي يقطنها عدد كبير من المسلمين. وقالت الشرطة: إنها عثرت علىٰ رسالتين داخل حرم المدرسة أعلنت فيهما منظمة إسلامية مسؤوليتها عن العملية». يلاحظ أن مجرد وجود رسالتين في مسرح العملية مكتوب فيهما أنهما من منظمة إسلامية توجه الاتهام إلىٰ المسلمين كما هي العادة في كل مكان في العالم، ولا يخطر علىٰ بال الشرطة أن أحداً آخر غير المسلمين أراد أن يلصق التهمة بالمسلمين الذين كثر أعداؤهم، وعليه يلقىٰ القبض علىٰ كل من يوجد من المسلمين في منطقة الحادث ويزجّ بهم في السجن. فإلىٰ متىٰ تلصق التهم بالمسلمين؟ إننا لا ننكر أن من المسلمين عناصر عميت بصائرها عن أوامر الإسلام، واخترقت صفوفها عناصر أخرىٰ من أعداء الإسلام، لٰكن الواقع أن هناك حملة منظمة معادية للإسلام في الغرب كما اتضح من اعترافات الغربيين أنفسهم الذين أعلنوا أن الإسلام هو العدو الجديد الذي حل محل الشيوعية وسمّوه بالخطر الأخضر، وهناك الصهيونية التي سخّرت إمكانياتها لتشويه صورة الإسلام، واتخذت لها عملاء من العرب ومن أبناء المسلمين لتشويه الإسلام أكثر من أعدائه

الغربيين، فتجد كتّاباً في الصحف والمجلات يردّدون كل يوم في كتاباتهم اتهام الإسلام بالتطرف، ويسخرون من الجهاد الإسلامي، ويتجاهلون معاني الجهاد في القرآن والسنة النبوية. لٰكن سقطت أقنعتهم بعد أن تبين أنهم يريدون إبعاد الإسلام عن القضية الفلسطينية والقدس؛ لأن دعوة المسلمين إلىٰ الجهاد من أجل تحرير القدس ومساعدة المسلمين لاستعادة وطنهم أمر خطير في نظرهم ويهدد وجود دولة إسرائيل.

لقد نشط عملاء أمريكا وإسرائيل في نسبة كل ما يسمونه بالإرهاب إلىٰ المسلمين، فتكتب البيانات وترسل إلىٰ وكالات الأنباء والصحف باسم الجماعات الإسلامية تتبنىٰ كل هٰذه العمليات في الشرق والغرب وفي الجو والأرض. ولو فرضنا أن هناك أفراداً من المسلمين أو في صفوف الإسلاميين فعلوا ما حرم الله، وقتلوا من لا يجوز قتله، فهل يجوز أن نلصق فعل أولٰئك بالإسلام والمسلمين عموماً؟ إنها أفعال فرديّة فيها اعتداء علىٰ الأبرياء وسفك الدم المعصوم، والإسلام من ذٰلك براء. أفينبغي بعد هٰذا أن تلصق تلك الأفعال بمن ينكرها ويدينها ويتبرأ منها؟

إن ما يقال: بأن هناك عقدة المؤامرة تتمثل في نسبة كل السلبيات إلىٰ المؤامرة. تبين أنها ليست عقدة ولا نظرية وإنما هي مؤامرة حقيقية، لقد اخترقت المخابرات الأمريكية والموساد والمخابرات الفرنسية كثيراً من المنظمات التي بعضها تدّعي الإسلامية. فهل يعقل أن ينسب ما جرى في الجزائر وغيرها من ذبح النساء والأطفال والمسنين إلىٰ الإسلام؟ إن نصوص القرآن والسنة واضحة في تحريم قتل النفس المعصومة وبيان العذاب العظيم المترتب علىٰ فعل ذٰلك، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١]، وقال سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ

﴿يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة]. وبين سبحانه أن قتل نفس المؤمن المعصومة إن حدث فلا يُتصور أن يكون ذٰلك من مؤمن إلا عن طريق الخطأ، وقد يحدث بتعمد لٰكن ممن ضعف إيمانه؛ ولذٰلك أردف سبحانه ببيان حرمة سفك الدّم المعصوم بتعمد، وأن ذٰلك الفعل مستوجب غضب الجبّار سبحانه والخلود في جهنم والعياذ بالله، قال جل في علاه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٩٢ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ [النساء].

ولك أن تتأمل أيها القارئ الكريم، أنه حتىٰ أثناء القتال في المعارك بين المسلمين والكفار لا يقتل غير المقاتلين، إنها الشريعة الغراء الحنيفية السمحة، فما كان المسلمون في غزواتهم يقتلون النساء والأطفال وكل من لم يقاتل أو يشترك في القتال، فقد جاء في الحديث الصحيح عن الربيع بن صيفي قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيْ غَزْوَةٍ فَرَأَىٰ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَىٰ شَيْءٍ، فَبَعَثَ رَجُلاً، فَقَالَ: «**انْظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ**». فَجَاءَ، فَقَالَ: عَلَىٰ امْرَأَةٍ قَتِيلٍ. فَقَالَ: «**مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ**»(١) ومعنىٰ ذٰلك أنها لو قاتلت لقتلت. وفي وصية أبي بكر رضي الله عنه للجيش: «لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا

---

(١) «سنن أبي داود» (٢٦٧١)، «سنن البيهقي الكبرىٰ» (١٧٨٨٣)، وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٥/ ٣٥).

لمأكلة، وسوف تجدون أقواماً قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»[1].

فالإسلام دين العدل ودين الرحمة، وأي شخص يحاول أن يسيء لهذين المبدأين في الإسلام يجب أن ينزل به أشد العقاب، والذين يسندون إلىٰ الإسلام العنف والإرهاب مفترون، فرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام هو رسول الرحمة ـ بأبي هو وأمي ﷺ ـ قال له ربه سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

إن دين الإسلام هو دين الرحمة والمحبة وقد أمر الله أتباعه أن يدعوا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا جادلوا غيرهم فليكن بالتي هي أحسن، فمن أين جاء هٰذا العنف؟ لا شك أنه من المؤامرات التي تحاك ضد الإسلام، إنهم يريدون تنفير الناس منه لأنه دين الحق ودين العزة والكرامة لا يقبل أن يكون أتباعه ضعفاء أذلاء بل يقفون في وجه الظلم والجبروت، وينتصرون للمظلوم ضد الطغيان، فنصرة المظلوم في دين الإسلام فريضة، فعندما قال الرسول ﷺ: «**وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً، إِنْ كَانَ ظَالِماً فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُوماً فَلْيَنْصُرْهُ**»[2]. حتىٰ لو كان الظالم أخاك لا بد أن تقف ضده وتمنعه عن ظلمه، والمسلم يقف مع الحق، ومقالة «أنا وأخي علىٰ ابن عمي وأنا وابن عمي علىٰ الغريب» ليست من الإسلام ولٰكنها من دعاوي الجاهلية. فيجب علىٰ أمة الإسلام أن تقف ضد الظلم وقفة واحدة، حتىٰ تبقىٰ هٰذه الأمة عادلة كريمة عزيزة كما أمرها الله.

ونقول: إن نسبة الإرهاب للإسلام من قبل الأعداء يراد منه التنفير من الإسلام وأهله، وحتىٰ لا يُقاوم العدو المحتل في فلسطين وغيرها باسم الإسلام. إن الإسلام مع تحريمه لقتل النفس وإرعاب غير المقاتلين فإنه أمرنا

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٢/٢٤٦).

(٢) «البخاري» (٢٤٤٣)، وأخرجه «مسلم» (٦٧٤٧) واللفظ له، «أحمد» (١١٩٦٧).

بإرهاب العدو والنكاية به والإعداد لذٰلك، قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال].



الإِسْلَامُ هُوَ المُنْقِذُ وَالعَاصِمُ

تواجه شعوب العالم الثالث ومنها الشعوب الإسلامية النظام العالمي الجديد أو ما يسمىٰ بالعولمة التي تعني المشاركة والانفتاح، ونستطيع أن نقول إن ذٰلك هو البديل للاستعمار العالمي، حيث تتمكن القوىٰ الدولية التي تملك القدرة في مجالات الاقتصاد والتجارة والصناعة والسياسة أن تسيطر علىٰ كل المجتمعات في الدول الأخرىٰ وتؤثر فيها في كل جانب من جوانب الحياة. ولا ريب أن الحالة التي تعيشها الشعوب الإسلامية من الضعف، إذ إنها لا تستطيع أن ترد عن نفسها السلبيات التي تصاحب هٰذه العولمة، وذٰلك يعني فتح الأبواب أمام كل الرياح التي تهب حتىٰ تذوب مجتمعاتنا في الواقع المخيف فلا تمييز بين الخبيث والطيب والمفيد والمضر، وتصبح مجتمعاتنا ضحية للانحلال والتفسخ.

إن الطريق إلىٰ حماية أنفسنا من هٰذا الخطر الكبير ومنع تحكم القوىٰ الكبرىٰ في مقدراتنا هو التفكير السليم، وبذل الجهد في استكشاف الحلول السليمة لتحصين مجتمعاتنا من كل ذٰلك، ومن الوقوع تحت وطأة الحاجة والجهل بالعواقب، فبعض مثقفينا الذين يفترض منهم توجيه الشعوب والمجتمعات إلىٰ ما ينفعها ويحفظ كيانها ويمكنها من مواجهة الأعداء هم عامل تخدير واستسلام للواقع، بل ومساعدة للأعداء لتحقيق أهدافهم. وترىٰ الذين كانوا يدعون إلىٰ الأممية ويرفضون الدولة التي تقام علىٰ أساس الدّين يقفون اليوم إلىٰ جانب قيام دولة إسرائيل علىٰ أرض فلسطين، ويتجاهلون أنها قامت علىٰ أساس الدين، بل ويبذلون أقصىٰ جهدهم من أجل تطبيع العلاقات معها، وإسرائيل من جانبها استغلت هٰذه العناصر للترويج لأفكار الصهيونية، وتحت ستار الوسطية والعولمة والتكامل الاقتصادي والتبادل الثقافي. مع أن

بعض الدول في العالم الثالث ومنها دول عربية تنقصها ضروريات الحياة وحاجاتها من الأمن والاستقرار ولقمة العيش، فتُتجاهل هٰذه الحاجات الملحّة وينبري مثقفوها وأولو الشأن فيها لإشغال شعوبهم بقضايا تحرير المرأة وتقليد الغرب وغير ذٰلك من قضايا التغريب. وتحرير المرأة معناه عندهم عروض الأزياء والأفلام والمسرحيات التي تظهر فيها المرأة متفسخة لتعم في الوسط النسائي الخلاعة والتبرج.

إننا ندعو إلىٰ تحرير المرأة لرفع مستواها علىٰ أساس من الدين والعلم والمعرفة، حتىٰ لا يكون هناك انحراف. والعجب أن يكون هناك مجتمع تسود فيه العادات السيئة والرشوة والفساد والأمية والجهل ومع ذٰلك لا تجد في هٰذا المجتمع إلا المطالبة بتقليد الغرب في كل شيء، ولا يفكر أهل الشأن في إصلاح الأوضاع المتردّية عندهم، بل تجد بعض هٰؤلاء الذين يرفعون شعارات التقدمية والديمقراطية والعدالة والمساواة غارقين في مستنقعات الفساد والانحطاط والاستبداد. وقد أعجبني ما قاله السيد أنور إبراهيم نائب رئيس وزراء ماليزيا السابق: «إن الفساد الإداري والإفلاس الأخلاقي مظهر رئيسي لأزمة الأمة الإسلامية، وعليهم أن يتقبلوا الحقيقة ويعترفوا بها بأنهم في حالة شلل وتخلف في عالم العلوم والتكنولوجيا، وإذا استمروا علىٰ ذٰلك فهو عدم وفاء لماضي الإسلام المجيد ومستقبل الأجيال، ولا شك أن فترة الاستعمار ساهمت في هٰذا الأمر، ولٰكن المسؤولية العظمىٰ تقع علىٰ المسلمين، فبدلاً من تركيز الاهتمام علىٰ تطور وتقدم الأمة فإن قادة المسلمين مشغولون بالخصومات الداخلية والصراعات الطائفية وحب الذات والعظمة».

إننا لا نمانع من تقليد الغرب في الصالح والمفيد فالإسلام مع التقدم في جميع المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية، ويحارب الجهل والفقر والمرض والظلم، ويرفض التحلل وما يجري في الغرب من ممارسات سيئة كاغتصاب الأطفال وإجبارهم علىٰ ممارسة الرذيلة، لقد تبين من تقرير لمنظمة الطفولة للأمم المتحدة أن مليوناً من الفتيات الصغيرات سنوياً يتحولن إلىٰ مجال البغاء العلني في أمريكا، وهناك من الأطفال من يمارس الرذيلة من

أجل التمرد فقط وإثبات الشخصية المستقلة، كما اتضح ذٰلك في حالة مائة ألف طفلة في أمريكا، وقد تحولت الرذيلة في بعض البلاد إلىٰ صناعة وتجارة بسبب التطلع إلىٰ الحياة الاستهلاكية، وهناك عصابات وشبكات تعمل في مجال الرذيلة، استغلت الفقر والحاجة في بعض البلاد مثل روسيا والفلبين وتايلند، والذي نخشاه علىٰ أبناء وبنات المسلمين أن يؤدي تطبيع العلاقات مع إسرائيل إلىٰ ترويج تجارة الجنس ونشر الفساد بكل أنواعه، وقد استبشرنا خيراً بتوصيات الجامعة العربية التي تضمنت إيقاف التطبيع مع إسرائيل، وإيقاف التعامل التجاري، وإغلاق المكاتب والبعثات، والالتزام بالمقاطعة العربية وتفعيلها.

إن عند العرب والمسلمين من الإمكانات المادية والقدرات العقلية والتضاريس الجغرافية والثروات الطبيعية ما يمكّنها من القيام بدور فعال علىٰ المستوىٰ الإقليمي والعالمي إذا هي وحّدت كلمتها واعتصمت بحبل الله المتين وبدينه القويم وهو الحنيفية السمحة والتزمت به ظاهراً وباطناً، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].



لِمَاذَا يَتَجَرَّؤُونَ عَلَىٰ الإِسْلَامِ؟!

نشرت وسائل الإعلام خبر استعداد النائب اليميني المتطرف الحقود في البرلمان الهولندي (خيرت فيلدرز) نشر فيلمه المسمىٰ بـ(الفتنة) الذي يتهجّم فيه علىٰ الإسلام، ويهدف لإظهار القرآن الكريم علىٰ أنه يحض علىٰ الإرهاب والقتل وعدم التسامح، وقد اشتهر (فيلدرز) هٰذا بكراهيته للإسلام والتحريض عليه، وقد قضىٰ قاضي هولندي بأن صاحب الفيلم لم يخالف القانون لأن القرآن (كتابٌ فاشيٌّ) حسب زعمه، وأوضح القاضي في حكمه: «لا يمكن القول إن المدّعَىٰ عليه دعا إلىٰ الكراهية أو العنف ضد المسلمين من خلال التعابير التي اختارها حتىٰ وإن كانت تنطوي علىٰ استفزاز»، ورفض شكوىٰ الاتحاد الإسلامي الذي طلب أن يمنع النائب منعاً باتاً من الإدلاء بمثل هٰذه التصريحات ضد الإسلام، وقرر القاضي الهولندي: «أن منعه بشكل عام من الإدلاء بتصريحات في المستقبل يشكل تعدّياً غير مقبول علىٰ حريته في التعبير».

ليس جديداً ما روَّجه وسيروِّجه ذٰلك المتطرف من افتراءات عن القرآن الكريم وأحكامه، ولا في تعليل القاضي المتهافت، فإننا نشهد في الآونة الأخيرة سلسلة هجمات متتابعة علىٰ الإسلام ونبيه خير الأنام عليه الصلاة والسلام عن طريق رسوم مسيئة أو أفلام دنيئة أو ما شابه ذٰلك.

نعم إنها الفتنة بحق، لقد ردّ ذٰلكم المتعصب علىٰ نفسه عندما سمّىٰ فيلمه بالفتنة فالعنوان يدل علىٰ المعنون له، لٰكن علىٰ غير ما يفهم هو من ذٰلك، ففيلمه هٰذا فتنة أسقط نفسه فيها، وسيجني ثمارها، وصدق الله ﷻ إذ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة].

إن الحرب علىٰ الإسلام والقرآن من قبل الكافرين حرب قديمة قال الله ﷻ عنها: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فُصّلَت]، ويقول سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ:٣١]، ويقول جل وعز: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [يونس].

إنّ القرآن يذكّرهم ويقربهم إلىٰ طريق الهداية إلىٰ النور إلىٰ الدين الحق دين الحنيفية السمحة الذي بعث به محمد ﷺ، ولٰكن لا يزيدهم ذٰلك إلا بعداً عنه إلىٰ طريق الغواية والضلال والجحود والكفران وذٰلك هو الخسران المبين: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء]، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس]، ويقول سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء].

إن الدين الذي بعث به الصادق الأمين ﷺ هو الدين القويم والصراط المستقيم، منهجه ودستوره ومصدره ونبعه ووروده هو القرآن العظيم، النور المبين، إنه كتاب تذكرة وسعادة وهدىٰ ورحمة وبشرىٰ وعدل وحكمة، صفات كثيرة وصف الله ﷻ بها هٰذا الكتاب العظيم فقال سبحانه: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾ [طه]، ويقول جل في علاه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [النمل]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُمر]، ويقول جل وعلا: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ

إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف]، ويقول العظيم سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر]، ويقول جل في علاه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ [فصلت]، ويقول جل في علاه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت].

إن ما فعله ذٰلك المسمىٰ بـ(القاضي!!) ـ من عدم جعل صاحب الفيلم المفتري داعياً إلىٰ الكراهية والعنف ضد المسلمين من خلال التعابير التي اختارها في تصريحاته، والصور واللقطات التي كوّن منها فيلمه، مع إقراره بأنها تنطوي علىٰ استفزاز، ورفض الدعوىٰ بإيقافه معللاً ذٰلك بأنه يشكل تعدياً غير مقبول علىٰ حريته في التعبير ـ لمن العجب العجاب الذي يتحيّر في وصفه أولو العقول والألباب، فما هي صور الدّعوىٰ للكراهية والعنف ضد المسلمين إن لم تكن هـٰذه الصورة أعظمها. فهل هـٰذا الأمر يحتاج إلىٰ جدال أم أن الأمر كما قال الشيخ أحمد بن عبد القادر الحِفظِيُّ:

طَاحَ مِيزَانُ الجِدَالِ وَاسْتَرَاحَ البُلْهُ فِينَا

أين العدل أيها القاضي؟! أهـٰذا هو العدل الذي أعطيت القَسَمَ علىٰ تطبيقه عند استلامك للقضاء، أم أنه التعصب والتطرف؟ أهـٰذا الهراء وذاك الافتراء يدخل في حريّة التعبير عن الرأي؟ أما سمعتَ وزير خارجيتكم الذي

فشل هو ووزير العدل في إقناع النائب المتعصّب في الرجوع عن بث الفيلم حين قال: «حرية التعبير لا تعني الحق في إهانة الآخرين»؟ أفهكذا يكون موقف القاضي العادل من الظلم؟!

لماذا يتجرأ القاصي والداني اليوم علىٰ الإسلام؟ أهو ضعف الأنظمة؟ أم سكوت العلماء؟ أم جهل الغرب بالإسلام؟ أم سعي السياسيين العنصريين لكسب أصوات مؤيديهم؟ أم هي نظرية المؤامرة في عصر التطبيق؟ أم هي سنة الحياة في عصر الاستضعاف؟ أم بذنوبنا وبما كسبت أيدينا؟

أسئلة محيرة مظلمة أضاء لي فيها ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن ثوبان مولىٰ رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ عَلَىٰ قَصْعَتِهَا**. قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ**. قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: **حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[1].



(١) «مسند أحمد» (٢٢٤٥٠) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، «سنن أبي داود» (٤٢٩٩) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٨٣).

اتِّهامهُمْ لِشَرِيْعَةِ الإِسْلامِ بِالنَّقَص

في إحدىٰ الفضائيات تحدّث أحد الذين يرون أنفسهم هم القادة في كل المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية، فكان يدافع عن العلمانية بحرارة وينتقص من الشريعة الإسلامية ويدّعي المعرفة فيها، وكان مما قاله: أن قاعدة لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص لا توجد في الشريعة، والتعزير في الشريعة مفوض إلىٰ القاضي. وعندما رد عليه أحد المفكرين وهو يحاوره بأن الآية الكريمة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] هي أصل في هٰذه القاعدة أنكر ذٰلك، وتمادىٰ في أقواله المتهافتة التي لا تدل علىٰ معرفة لا بالقوانين ولا بالشريعة؛ بل تدل علىٰ جهل وتعصّب للفكر الذي اعتنقه تقليداً ليقال: إنه مفكر ومثقّف وتقدّميٌّ ليبراليٌّ.

ومن أجل أن نبيّن تهافت أقوال هٰذا المدعي وجهله بالشريعة، نقول له: إن الشريعة الإسلامية (الحنيفية السمحة) هي التي جاءت بقاعدة «لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص» قبل أربعة عشر قرناً، وامتازت علىٰ القوانين الوضعية التي لم تعرفها إلا أواخر القرن الثامن عشر الميلادي كنتيجة من نتائج الثورة الفرنسية، وقررت لأول مرة في إعلان حقوق الإنسان سنة ١٧٨٩م ثم انتقلت إلىٰ القوانين الوضعية الأخرىٰ، أما الشريعة الإسلامية وإن لم تذكر هٰذه القاعدة بهٰذا اللفظ إلا أن هناك قواعد أصولية تؤدي هٰذا المعنىٰ بالضبط، ومصدر هٰذه القواعد الأصولية هو القرآن الكريم، من هٰذه القواعد «لا حكم لأفعال العقلاء قبل ورود النص»، بمعنىٰ أن أفعال المكلّف لا يمكن وصفها أنها محرّمة ما دام لم يرد نص بتحريمها، ولا حرج علىٰ المكلف أن يفعلها أو يتركها حتىٰ ينص علىٰ تحريمها. وهناك قاعدة ثانية تقول: «إن الأصل في الأشياء والأفعال الإباحة» أي أن كل فعل أو ترك مباح أصلاً بالإباحة

الأصلية، فما لم يرد نص بتحريمه فلا مسؤولية علىٰ فاعله أو تاركه، وهناك قاعدة ثالثة تقول: «لا يكلّف شرعاً إلا من كان قادراً علىٰ التكليف أهلاً لما كلف به، ولا يكلّف شرعاً إلا بفعل ممكن مقدور للمكلّف معلوم له علماً يحمله علىٰ امتثاله» فهٰذه القواعد الثلاث تعني أنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص، ومصدرها الآيات: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص:٥٩]، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء]، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]. فما دامت هٰذه الآيات قد أوضحت أن الله لا يأخذ الناس بعقاب إلا بعد أن يبين لهم وينذرهم علىٰ لسان رسوله، وأنه لا يكلف نفساً إلا بما تطيقه، فذٰلك كله يعني أنه لا جريمة إلا بعد بيان، ولا عقوبة إلا بعد إنذار، وقد طبقت هٰذه القاعدة في جرائم الحدود بكل دقة، وهي سبع جرائم: ١ ـ الزنا ٢ ـ القذف ٣ ـ شرب الخمر ٤ ـ السرقة ٥ ـ الحرابة ٦ ـ الردة ٧ ـ البغي، وغير هٰذه الحدود من المعاصي فيها تعازير يكون تقديرها لولي الأمر أو القاضي، وفي الإمكان تقنينها في مواد، وكل قاض قرأ الفقه الإسلامي يعرف ما يجب عليه عند توقيع العقوبة المناسبة لكل جريمة، وكل مجتمع إسلامي يعرف الناس فيه الحلال والحرام والمباح وغير المباح.

أما جرائم القصاص والدّية فقاعدة «لا جريمة ولا عقوبة بلا نص» قد طبقتها الشريعة تطبيقاً دقيقاً، ومن قرأ النصوص تبين له ذٰلك، فما يعاقب عليه بالقصاص هو القتل العمد، أما شبه العمد وقتل الخطأ فيعاقب عليه بالدية، وإذا عفىٰ ولي الدم عن القصاص أو امتنع القصاص لسبب شرعي فهنالك الدية. ومن النصوص في ذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى

﴿ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة] وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة]، ومن الأحاديث النبويّة في ذٰلك قوله ﷺ: «**وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهْوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا يُودَىٰ وَإِمَّا يُقَادُ**»[1].

وفي جرائم التعزير لا يشترط أن يكون لكل جريمة عقوبة معينة محددة يتقيد بها القاضي كما هو الحال في جرائم الحدود والقصاص والدية، فللقاضي أن يختار لكل جريمة ولكل مجرم العقوبة التي تناسب مع حجم الضرر مع مراعاة الزمان والمكان ومراعاة الشخص نفسه.

وعلىٰ كل نقول للعلمانيين: إنكم لن تروا في شريعة الإسلام (دين الحنيفية السمحة) نقصاً مهما حاولتم أن توجهوا لها الاتهامات بالنقص، وقد اعترف أسيادكم بكمالها وتميّزها وعدالتها، ونحن نطالبكم بالعودة إلىٰ الحق والتفكير بعمق، والرجوع عن الردة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمد]، وقال: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].

إنه إذا تخلىٰ بعض المسلمين عن دينهم وانصاعوا للأفكار المعادية

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٨٨٠)، «صحيح مسلم» (٣٣٧١)، «مسند أحمد» (٧٢٤١).

للإسلام، وأصبحوا في خدمة أعدائه، وساعدوا علىٰ احتلال أرض المسلمين ومقدساتهم بإضعاف الروح المعنوية فيهم، واختراق الصف الإسلامي حتىٰ يشوّهوا الإسلام، وينحرفوا بالجهاد ويستسلموا للأعداء، ويكونوا في خدمتهم بالعمل والفكر، فإن الله سينزل بهم العقوبة، ويبدلهم بأناس يحبهم ويحبّونه أذلة علىٰ المؤمنين أعزة علىٰ الكافرين.

نسأل الله أن يحفظ أبناء المسلمين من الارتداد عن دينه، وأن يهديهم إلىٰ سواء السبيل، فإن دين الإسلام (دين الحنيفية السمحة) التي بُعث به محمد ﷺ هو الدين الحق الذي لا يقبل الله غيره، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].



الشَّرْطُ الوَحِيْدُ اسْتِبْعَادُ الإِسْلَامِ

نلاحظ أن الشرق والغرب واليسار واليمين لا يمكن أن يرضوا عن شخصية أو هيئة إذا كانت تنتمي إلىٰ الإسلام، وتدعو إليه، وتعتز به، وتدافع عنه، فهم يريدون من كل مسلم أن يتنكر لإسلامه، فإذا هو فعل ذٰلك رفعوه فوق رؤوسهم، ومنحوه كل دعم، وسلَّطوا عليه الأضواء الإعلامية التي ترفع من مكانته حتىٰ يمكّنهم من أن ينفذوا ما يريدون، وأن يمهّد لهم السبل لبلوغ غاياتهم في بسط نفوذهم الثقافي والاقتصادي في بلاد المسلمين، وهم يعرفون حق المعرفة أن الإسلام هو دين القوة، ودين العزة، لا يرضىٰ لمعتنقيه الذل والهوان. وهم عندما يذكرون الإسلام يتذكرون الحروب الصليبية، ويتذكرون أنه الدين الذي قضىٰ علىٰ دولتي فارس والروم، لذٰلك يخافون أن تسري روح الإسلام في أتباعه فيعيدونها جذعة تقضي علىٰ نفوذهم وهيمنتهم في المنطقة الإسلامية، وتعيد اليهود من حيث أتوا فلا تكون هناك دولة تسمىٰ إسرائيل تحمي مصالحهم وتبقي علىٰ نفوذهم في المنطقة.

إن الطريق للوصول إلىٰ غايتهم الكبرىٰ ـ وهي إبعاد الإسلام ـ تبدأ أولاً بتشويه الإسلام عن طريق الكُتّاب الذين صنعوهم بثقافتهم فيطعنون في الإسلام، ويروّجون للأفكار العلمانية، فتراهم يركّزون علىٰ ما يسمىٰ بحقوق المرأة، ويحصرون الثقافة في التراث الشعبي، والرقصات البالية، والفن التشكيلي، والسينما والمسرح، ويروّجون للوثنية بإشاعة نحت التماثيل ونصبها، ويشجّعون الاختلاط بين الجنسين، ويطلقون العنان لإثارة الغرائز بمختلف الطرق والوسائل.

وإذا أراد المسلمون أن يحكّموا شريعتهم في مجتمعاتهم بذلوا كل محاولة من أجل إثنائهم عن ذٰلك، وحرّكوا عملاءهم لمقاومة تحكيم الشريعة،

فانبروا يهاجمون دعاتها، ويشكّكون في أحكامها، ويقومون هم من جهتهم بكل أنواع الضغط الاقتصادي والسياسي علىٰ أي بلد يريد تحكيم الشريعة، ففي السودان مثلا عندما تولّىٰ المشير سوار الذهب الحكم لم يقابله ممثل دولة إلا ويطلب منه إلغاء قوانين الشريعة. وعندما رأىٰ أعداء الإسلام أن الأغلبية في السودان لا تبغي بالإسلام بديلاً أخذوا يضغطون من كل الجهات حتىٰ يستبعد التوجه الإسلامي؛ وكان شرطهم الوحيد لمساعدة السودان علىٰ حل مشاكله هو نبذ هـٰذا التوجه.

والدول الغربية تزعم أنها تؤيد الديمقراطية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، لـٰكن إذا أراد الشعب أن يحكم بالإسلام قالوا له: لا! وإذا فاز دعاة الإسلام بالاتحادات العمَّالية والطلّابية والتعليمية والمهنية، وحازوا علىٰ ثقة الجماهير تكالبت عليهم القوىٰ الداخلية والخارجية التي تضمر الحقد علىٰ الإسلام، وعرقلت عليهم مسيرتهم، وأثارت أمامهم الزوابع، واتهموا بالتطرف، ولم يمكّنوهم من أداء رسالتهم. فهم مع الديمقراطية بشرط أن يبعد الإسلام، وإلا تلغىٰ هـٰذه الديمقراطية، ويقوم انقلاب ويستبعد الإسلام من ساحة الحكم.

ولقد ساهم الإعلاميون العلمانيون في الحملة ضد الحكم الإسلامي والنظام الإسلامي واستغلوا المنابر الثقافية التي تسللوا إليها، وأخذوا يطعنون في كل ما هو إسلامي، ويقومون بعمليات التعتيم لكل الإنجازات الإسلامية، ويزيفون الحقائق، ويتمادون في الكذب والخداع، ويؤيدون الطغيان والسلطات الظالمة في قهر دعاة الإسلام، وهم يدّعون الحرية، ويرددون قول فولتير: «إني قد أختلف معك في الرأي ولـٰكني مستعد بأن أدفع حياتي ثمناً لحريتك لتقول ما تريد». إنهم انتهازيون لا يريدون الحرية إلا إذا كانت تتيح لهم الكفر والإلحاد، والترويج للأفكار المنحرفة والسلوك المنحرف. فهـٰذا صحفي يعمل في جرائد الخليج وهو ينتمي إلىٰ حزب يساري في بلاده يشنّ حملة علىٰ بعض الكُتّاب بسبب توجههم الإسلامي بعد أن كانوا في بداية حياتهم يساريين، فهو يتأسف علىٰ تحولهم إلىٰ الإسلام، ويؤلمه أن تابوا وأنابوا إلىٰ ربهم، مثل

أولٰئك الذين تألّموا من توبة بعض الممثلات كالمرأة الفاضلة الداعية شمس البارودي وغيرها من أخواتها الفاضلات فأخذوا يعيدون أفلامهن القديمة نكاية بهنّ. فلا يرضون عن الإنسان إلا إذا كان متبعاً لخطوات الشيطان.

كما تراهم يهاجمون الاقتصاد الإسلامي، ويعملون بكل ما أوتوا من قوة لإفشال كل مشروع إسلامي في الاقتصاد، وينشرون الأكاذيب والأضاليل حول المشاريع الإسلامية، ويستغلون نفوذهم ويستَعْدون السلطات للإجهاز علىٰ المشاريع الإسلامية من أجل مصالح الغرب والشرق، لتستمر القوىٰ الاقتصادية الكبرىٰ في امتصاص دماء العالم الثالث واستغلاله. فهم يحاربون كل نهضة تقوم علىٰ أساس الإسلام، لا لشيء إلا لأنهم يكرهون الإسلام.

إن عملاء الشرق والغرب كلهم قد أصبحوا يرمون من قوس واحدة ليطفئوا نور الله بأفواههم، وأنىٰ لهم ذٰلك!! قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة].



«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ»

من العجائب أن يخرج علينا وزير الثقافة في دولة تسمي نفسها بتصريح يقول فيه: إن خطة وزارته تقوم علىٰ محاربة الإيمان بالغيب والأفكار السلفية. بدلاً من أن يقول: إن خطة وزارته تقوم علىٰ محاربة الخلاعة والمجون، والأغاني الهابطة، ومحاربة الخرافة والشعوذة، وفساد الأخلاق، ومحاربة الثقافة التي تدفع إلىٰ الإجرام.

لقد رأينا ماذا فعلت بالشباب كُتب سارتر والبير كامي. ألم تدفع هٰذه الثقافة بعض الشباب إلىٰ الاعتداء علىٰ أسرهم وقتل أفرادها؟

ورأينا كيف تفعل أفلام السينما والمسرحيات الهابطة بالشباب؟ وكيف تفعل بهم أفلام العنف والإثارة إلىٰ ارتكاب الجرائم وتعاطي المخدرات؟ ألم تدفع الخرافات والشعوذة كثيراً من الناس إلىٰ الكسل والخمول وانحطاط الفكر؟

ألم يرَ معالي الوزير الأدب المكشوف والشعر والأغاني الماجنة التي أفسدت الأخلاق والذوق العام؟

ألم يرَ معالي الوزير طغيان الهدف المادي والربح علىٰ الثقافة، حتىٰ لم يعد يقدم إلا الفن الرخيص والمثير للغرائز، طمعاً في الربح المادي؟

أما كان الأجدر بمعالي الوزير أن يحارب كل ذٰلك؟ أليس هٰذا ميدانه؟

ألا يدري معالي الوزير أن الذين قامت علىٰ أكتافهم حضارة الأمة الإسلامية هم الذين كانوا يؤمنون بالغيب؟

إن الإيمان بالغيب ليس الإيمان بالخرافة، ويخطئ من يظن أن الإيمان بالغيب يتعارض مع التقدم والرقي، فنحن نرىٰ الشباب المتدين اليوم يقبل علىٰ

العلم حتىٰ نال أرقىٰ الشهادات في مختلف التخصصات؛ بينما نرىٰ الشباب المتنكر للدين والمتفلّت من القيم يملأ الشوارع ونوادي القمار، ولا يكاد يفيق من السكر والعربدة.

ألم يقرأ معالي الوزير ما نشره الكاتب يوسف إدريس في الأهرام عن مجموعة الشباب الإسلاميين ذوي الأفكار السلفية الذين رآهم في المعادي كيف كانوا في سمو أخلاقهم وفي سلوكهم وفي فهمهم للحياة المعاصرة؟ وكيف يتعاملون مع حقائق العصر؟ وكيف تبين له أنه كان ضحية للدعاية ضدهم، فغير رأيه بعد أن رأىٰ ما رأىٰ؟

الإيمان بالغيب ليس الإيمان بالشعوذة والخرافة، كالإيمان بالتنجيم علىٰ نحو ما فعل ريجان ونانسي عندما اتصلا بالعرّافة لمعرفة حظهما ومستقبلهما، وما سيجري لهما في المستقبل. ولا أعتقد أن معالي الوزير يستنكر ذٰلك؛ لأن فاعليه كانوا في قمة الحضارة!!

يجب أن نعرف أن الإيمان بالغيب هو أساس العقيدة، وهو أساس الفلاح، قال ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة].

إن الإيمان بالغيب هو الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب المنزّلة، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، ومن لا يؤمن بالغيب فهو كافر، ولذٰلك جاء بعد هٰذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ [البقرة].

عندما نُكِبَ العالم الإسلامي ببعض الملحدين الذين لا يؤمنون بالغيب، وتمكنوا من السيطرة علىٰ مقدرات شعوبهم، وتحكموا فيها، وصل إلىٰ قاع التخلف والانحطاط الفكري في كل المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، ولم يعد العالم الإسلامي ذٰلك العالم القوي المرهوب الجانب

بل أصبح بفعلهم كيانات ممزقة، ودويلات ضعيفة يحارب بعضها بعضاً، ويكيد بعضها لبعض، تسام فيها الشعوب سوء العذاب، وتحارب في رزقها، فأنهكتها الأزمات والحروب والمشاريع الفاشلة، ووجدت مجاميع من المتعطلين لا يعملون، ولا يكادون يحصلون علىٰ رغيف الخبز.

إنها نكبات وأزمات حلت بالأمة بعد أن حاربنا الله، وبارزناه بالخصومة، ومع الأسف ما زال هناك من يصر علىٰ المضي في طريق الخطيئة والخصام مع رب الأرباب، ويريد أن تتحكم في الناس الأهواء والضلالات، والأفكار الهدامة التي تفرزها عناصر البغي فيتولىٰ أمور الأمة البغاة والطغاة والظالمون، فيسود العنف والجبروت، وتنتهك الحرمات، وتصادر حقوق الناس وأملاكهم باسم الاشتراكية، أو تسود الإباحية والفوضىٰ باسم الحرية والديمقراطية.

إن الإيمان بالغيب ليس معناه سيادة الكهنوت، واستغلال الدين من أجل التحكم في رقاب الناس، وإنما معناه الإيمان المطلق بالواحد الأحد الذي لا معبود بحق سواه، ولا خالق ولا رازق إلا هو، لا تعنو الجباه ولا تخضع الوجوه إلا له، وأن ترفض عبادة ما سواه من طواغيت الكون فيتحرر الإنسان من عبادة العباد إلىٰ عبادة رب العباد.

لقد رأينا الذين يؤمنون بالغيب وهم يقاومون الطواغيت، وينزلون بجحافلهم الهزائم بقوة الإيمان بالغيب، والمؤمن الحق هو الذي ينطلق في العمل بكل طاقته، ويعتبر الكون كله محراباً لعبادته، وما يقدمه من نفع للأمة والبشرية هو في نطاق العبادة، يرجو ثواب الله ويخشىٰ عقابه، وليس من الإيمان بالغيب ولا من الإسلام في شيء ما نشاهده من بعض المتدينين الجهلة من التكاسل في العمل، والهروب من المسؤوليات وترك رعايتهم لأسرهم وأولادهم، وإساءة معاملة الآخرين، والتشدد والغلو في الدين، هٰذا كله ليس تديُّناً وإنما هي أمراض نفسية، ووساوس شيطانية، وإن ظهر بمظهر التديّن، وعلاجه ليس بمحاربة الدين ولٰكن بمزيد من الوعي، ومزيد من الفهم في الدين: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ

﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

إن الفقه في الدين هو الفهم الصحيح المتعمق لا السطحية والغلو والتشدد، ولا أحد ينكر أن هناك من فهم الدين علىٰ أنه تعصب وتزمُّتٌ، فضَلَّ وأضَلَّ، ولٰكن ذٰلك لا يبرِّر أن يأتي من يخلط بين الحق والباطل، والطيب والخبيث، ويتحدث في أمور لا يفهمها، ويجادل بغير علم، ولا دليل يستند إليه، ومع ذٰلك يلوي عنقه تكبُّراً وعجرفة، همه أن يضل الناس ويرضي أسياده ومن يعبده من الخلق، الذين لا يضرون ولا ينفعون، متوهِّماً أنهم ينفعونه ويضرونه، وعبادته لربَّه علىٰ طرف هاوية فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب علىٰ وجهه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج].



سَبُّ الذَّاتِ الإِلَـٰهِيَّةِ

ظهرت في الآونة الأخيرة في بعض البلاد العربية كتب تنال من الذات الإلـٰهية، وشخصية الرسول ﷺ، وبعض الصحابة رضوان الله عليهم، ودين الحنيفية السمحة والأخلاق، وقد احتج بعض المسلمين الغيورين علىٰ دينهم علىٰ السماح ببيع هـٰذه الكتب ونشرها بين المسلمين. ففي نشر هـٰذه الكتب تحدٍّ لمشاعر المسلمين، وتعدٍّ علىٰ النظام العام، واستخفاف بالشعوب المسلمة بالتهجم علىٰ عقيدتها، ونشر الكفر والإلحاد في المجتمع المسلم، ولا يخفىٰ ما يكون من ردود أفعال تضر بالأمن والسلام وإثارة الفتن، والذي يسمح بنشر هـٰذه الكتب إنما يحارب الله ورسوله، ويسعىٰ في الأرض فساداً، فما الفائدة من نشر هـٰذه الكتب غير نشر الضلال والفسق والفجور، وتحطيم القيم والأخلاق باسم حرية الفكر؟ وهل الفكر هو الكفر؟ فالذين سمّوا أنفسهم ليبراليين، ويدّعون الدفاع عن حرية الفكر، ويسمحون لكل من هبّ ودبّ ليقول ما يشاء في الدّين، ويضلل الناس بأفكار هدّامة وأقوال كاذبة ومزيّفة؛ هم أنفسهم الذين كانوا يدافعون عن استبداد الطغاة في الدول الشيوعية، وقد تحول أكثرهم إلىٰ الامبريالية الأمريكية بعد سقوط الأنظمة الشيوعية، وقد كانوا يعدون الامبريالية الخطر الأكبر علىٰ الشعوب، وقد كانوا يضللون الناس ويزعمون أن الدين أفيون الشعوب، وأنه يعطي المستبدين الحق في استغلال العمال. وقد تبين كذبهم وزيفهم، وأصبحت مبادئهم هي أفيون الشعوب عندما استغلوها باسم الماركسية والديمقراطية الشعبية والاشتراكية العلمية والعلمانية.

إن هـٰؤلاء الذين يسمون أنفسهم ليبراليين هم في الواقع طغاة مستبدون إذا أتيحت لهم الفرصة في الحكم، فقد كانوا يدعون إلىٰ إسقاط الأنظمة الملكية وحكم الأسر، ولما أسقطت في بعض البلدان وتمكّنوا من الاستيلاء

علىٰ الحكم كانوا أشد طغياناً وأكثر فساداً. ففي إحدىٰ الدول كان الملك يملك أربعة قصور فجاء الأمين العام للحزب الحاكم بعد الثورة فكان له وحده ثلاثون قصراً غير القصور التي لزعماء الحزب الحاكم الآخرين علىٰ شواطئ البحر والأماكن الأخرىٰ المرتفعة فوق التلال، وانتشر الفساد وعمّت الرشوة كل الأجهزة، وهرّبت أموال الشعب إلىٰ سويسرا ولندن وباريس وبون، وما إن سقط النظام حتىٰ هربوا جميعاً إلىٰ محل أرصدتهم ليستأنسوا بحياة المتعة والشهوة، ويصرفوا الأموال في الخمر وموائد القمار والدعارة.

هٰؤلاء هم الذين يطالبون بحرية مهاجمة الدين والمقدسات، ويعدون تاريخ الإسلام تخلُّفاً وكل الحكومات قبلهم استبدادية ورجعية، فأبدلوا فقط حكم الأسرة إلىٰ حكم الحزب، وزيّفوا التاريخ، وحرّفوا كل الوثائق، وتواترت الانقلابات العسكرية، وكلٌّ يلعن الذي قبله، ولم يعد هناك استقرار ولا أمان ولا اقتصاد، ولا حرية شخصية ولا اقتصادية ولا عدالة، واستشرىٰ الفساد. فهل يُؤمَّن هٰؤلاء علىٰ حقوق الشعوب وحماية الأوطان؟

ماذا ينقم هٰؤلاء علىٰ الإسلام حتىٰ يحاربوه؟ الإسلام هو دين الحنيفية السمحة وهو الذي تطالب به الشعوب، وهو الذي أخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، ورفع الظلم عن الإنسان، ألم تكن مصر والشام تحت حكم الرومان الغاشم، فجاء الإسلام وحرّرها من طغيان الرومان، وحرّر شعب فارس من طغيان الأكاسرة؟ أليس الإسلام هو الذي وضع مبدأ المساواة في قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]، فماذا يغيظكم في هٰذا المبدأ وأنتم تزعمون أنكم تطالبون بالمساواة بين البشر؟ أليست هٰذه منكم أكاذيب وأضاليل عندما تدّعون أنكم ديمقراطيون وتحقدون علىٰ الإسلام، وتسخرون من أحكامه؟ لا شك أنكم كاذبون مزيّفون، كل همّكم أن يقال عنكم أنكم ليبراليون متحضّرون، وأنتم في الواقع صنيعة لأعداء الإسلام من أجل الربح المادي، ولا تهمكم إلا أنفسكم، إنكم من الطائفة التي قال الله في القرآن عنها: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وأسفاً علىٰ أبناء المسلمين الذين اندفعوا مع تيار الكفر والإلحاد ومناصرة أعداء الإسلام والتشكيك في الدين والقيم.

كيف للشعوب الإسلامية أن تسكت عن تشكيك هٰؤلاء؟ أليس التشكيك في الدّين والطّعن في مقدسات المسلمين خيانة؟ لا ريب من أن هٰؤلاء المشككين الذين يطعنون في دين الله، ويمسون الذات الإلٰهية، ويسيئون إلىٰ الرسول ﷺ، خونة طغاة، يهيئون الفرصة أمام أعداء الأمة لإضعاف قوة المسلمين، وتفتيت وحدتهم بالطعن في عقيدة الإسلام دين الحنيفية السمحة، إذ إن عقيدة الإسلام هي أساس وحدة الأمة ومصدر عزتها وقوتها.

إنه لمن الغرائب أن يسمح بنشر الكتب التي تمس الذات الإلٰهية، وتطعن في الرسل عليهم الصلاة والسلام، والصحابة الكرام ﭫ، وتمنع الكتب التي تنتقد الأوضاع في بعض البلاد أو تمس رؤساءها، ويعاقب من يمس الرؤساء ولا يعاقب من يمس الذات الإلٰهية، فذات الرؤساء مصونة عندهم أما الذات الإلٰهية فليست مصونة. فلا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصدق الشاعر العراقي وليد الأعظمي حين قال:

يُسَاقُ لِلسِّجْنِ مَنْ سَبَّ الرَّئِيْـ ـسَ وَمَنْ سَبَّ الإِلَهَ فَإِنَّ النَّاسَ أَحْرَارُ

﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].



«فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ»

هناك حملة تقوم بها عناصر مشبوهة لإفساد عقائد أبناء المسلمين تتمثل في كتب تُدرَّس للتلاميذ فيها إساءة للإسلام وللتاريخ الإسلامي، من ذٰلك ما تقوم به المراكز والمدارس الأجنبية في بلاد المسلمين؛ مثل ما يسمىٰ مركز ابن خلدون الذي وضع مشروعاً للتربية الدينية لتدريسه للتلاميذ، وأشرف علىٰ وضعه الدكتور أحمد صبحي منصور الذي سبق فصله من الأزهر لأفكاره المناقضة للإسلام وإنكاره للسنّة النبوية، ومما جاء في هذا المشروع الاستهزاء بالعبادات في الإسلام كالصلاة وتنفير أطفال المسلمين منها، ومما جاء فيه أن اليهود مصريون، وأن القرآن هو الذي منحهم الجنسية المصرية، وامتلأت الكتب التي ينشرها المركز بالتهجّم علىٰ الرسل عليهم الصلاة والسلام والصحابة الكرام رضوان الله عليهم، حتىٰ أن المنشور الثاني للمركز يسخر من خبراء وزارات التربية الذين يركّزون علىٰ جعل صحابة رسول الله ﷺ قدوة حسنة للتلاميذ في حياتهم، فعُدَّ هٰذا التركيز منكراً وانحرافاً.

ومن مغالطات المركز أنه جعل المنافقين من جملة الصحابة رضي الله عنهم، حتىٰ سمّىٰ بعض الكتّاب هٰذا المركز «مركز ابن صهيون» وذٰلك لأنه يعبّر عن أفكار الصّهاينة وأهدافهم، والمركز وكاهنه المفتون بينه وبين رسول الله الكريم ﷺ وأصحابه الأبرار رضي الله عنهم ثأر دفين؛ لذٰلك ترىٰ حقد المركز وكاهنه علىٰ الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم طاغياً علىٰ كل مشاعرهم، فيقذفون حمماً وبراكين من صدورهم بمناسبة وغير مناسبة.

ومما يشابه ما ينشره مركز ابن خلدون في القاهرة ما نشرته جريدة الشرق

القطرية بتاريخ ٢١/٢/١٤٢٠هـ الموافق ٥ يونيو ١٩٩٩م بعنوان (مدرسة خاصة تتعمد الإساءة للإسلام وللرسول في مناهجها الدراسية) وقالت الجريدة: «كشف عدد من أولياء الأمور للشّرق عن معلومات خطيرة تؤكّد أن إحدىٰ المدارس الأجنبية في الدولة تتعمد الإساءة إلىٰ الإسلام وإلىٰ نبينا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام من خلال إدراج معلومات مغلوطة حول دين الإسلام، وحول شخص النبي عليه الصلاة والسلام في كتاب منهجي يتم تدريسه للطلاب باعتباره كتاب تاريخ، وأن المدرسة تلقن أبناءهم معلومات خاطئة تتعلق بزواج الرسول عليه الصلاة والسلام من خديجة ﵂. حيث جاء في نص الكتاب: أن الرسول ﷺ قد تهرّب من حالة الفقر التي كان يعيشها في حياته وذٰلك بزواجه من أرملة ثريّة تدعىٰ خديجة ﵂. وظهرت في الكتاب صور علىٰ أنها صور الرسول ﷺ وجبريل ﵇ علىٰ البراق في الإسراء والمعراج، كل هٰذا جاء علىٰ وجه الاستهزاء». وكل يوم نقرأ في الصحف والكتب هجوماً علىٰ الصحابة ﵃ والتابعين وفقهاء الإسلام من أناس سفهاء يدّعون العلم والثقافة، لا همّ لهم إلا الطعن في أهل الإخلاص والدين والتشكيك في تاريخ الإسلام.

أليس هٰؤلاء الذين يطعنون في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة ﵃ وينتقصون الإسلام ويفسدون الأجيال بالعقائد الفاسدة وأفكار الملحدين والكافرين يستحقون الردع وإرجاعهم إلىٰ صوابهم حتىٰ يكونوا صالحين نافعين، أما كان الواجب أن يوجه هٰؤلاء نشاطهم في المجتمعات الإسلامية إلىٰ ميدان العلوم والثقافة النافعة الهادفة لا إلىٰ إثارة الفتن وإفساد العقيدة الإسلامية، وخدمة الأعداء بالتشكيك في القرآن الكريم والسنة النبوية، والطعن في الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام الذين أخرجوا الناس من الظلمات إلىٰ النور، والتهجم علىٰ جيل الصحابة والتابعين. إن الذي شجع هٰؤلاء علىٰ التمادي في الانحراف وتجاوز الحدود والاستخفاف بالقيم والمقدسات عدم وجود من يتصدّىٰ لهم ويوقفهم عند حدّهم، وقد خلت المجتمعات من المحتسب فلا تجد من يتقدم بدعوىٰ حسبة ولا شهادة حسبة

ليقف هٰؤلاء عند حدهم، وينقطع دابرهم في إطار الحق والعدالة.

إن الفرق بين النظام الليبرالي والنظام الشرعي أن النظام الليبرالي تتقيد فيه الدعوىٰ بالعنصر الشخصي في الحق، فحيث لا مصلحة شخصية مباشرة فلا دعوىٰ، أما النظام الشرعي الذي جاء به دين الحنيفية السمحة فيقف علىٰ اعتبار الوظيفة الاجتماعية للحق، وأنه وسيلة عامة أو تكليف أو وظيفة اجتماعية الغرض منها إعلاء المبدأ الجماعي وخدمته، فدعوىٰ الحسبة في الإسلام هي دعوىٰ المجتمع كله يرفعها المسلم باسمه الخاص وللصالح العام، ولما كان الصالح العام في الإسلام إقامة العدل فإن الدفاع عن الحق حسبة لله هو دفاع عن الناس جميعاً، ومن هنا سميت دعوىٰ الحسبة أو شهادة الحسبة. والحسبة في دين الحنيفية السمحة الشريعة الغراء ترجع إلىٰ مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطبقاً لما هو مقرر في الفقه الإسلامي.
فللمسلم إن رأىٰ منكراً أن يلجأ إلىٰ القضاء بصفته مسلماً ودفاعاً عن الإسلام لا عن مصلحته الشخصية ليستصدر حكماً يمنعه؛ وهٰذه الدعوىٰ تسمىٰ دعوىٰ الحسبة، كما لو وجدنا ذميّاً عنده مسلمة باسم الزواج أو من وجد من يجاهر بالردة فإن من حق أي مسلم أن ينبري متطوعاً لله باستصدار الحكم بفسخ الزواج في الحالة الأولىٰ، أو بطلب الحكم باعتباره مرتداً في الحالة الثانية.
وفي شهادة الحسبة قال الإمام النووي في «الروضة»: «اعلم أن الحقوق ضربان، ضرب لا تجوز المبادرة إلىٰ الشهادة عليه وضرب يجوز، وتسمىٰ الشهادة علىٰ هٰذا الثاني علىٰ وجه المبادرة شهادة حسبة، والذي تقبل فيه شهادة الحسبة هو ما تمحّض حقاً لله تعالىٰ أو كان له فيه حق متأكد لا يتأثر برضا الآدمي»[1]. هٰذه هي أحكام الإسلام في الحسبة، وهي كفيلة بالمحافظة علىٰ هوية الأمة ودينها والمحافظة علىٰ المجتمع من التفكك، ونريد من هٰؤلاء الذين يدعون الثقافة ويحرصون علىٰ حرية الفكر ألّا يخفوا الحقائق ويلبسوا علىٰ الناس الحق بالباطل، ونحن لا نطالبهم أن يكونوا عاطفيين، أو

---

(١) «روضة الطالبين» للنووي (١١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) باختصار.

يجاملوا الشعوب علىٰ حساب الحقيقة، إنما نطالبهم فقط أن يلتزموا بقول كلمة الحق ولا ينصاعوا لأهواء غيرهم ولا لأهوائهم، ونقول لهم: ماذا تنكرون علىٰ الإسلام دين الحنيفية السمحة وتنقمون عليه؟ فهو الذي يدعو إلىٰ العدالة ورفع الظلم، ويدعو إلىٰ كرامة المرأة وعفتها، ويدعو إلىٰ حسن الأخلاق، ويدعو إلىٰ الإبداع والتفكير الهادف.

إن مركز ابن خلدون في القاهرة يقوم بدور خطير من هدم عقائد المسلمين والتشكيك فيها. ومن الجهل المركب أن يقول مدير هٰذا المركز مع ما سبق بيانه: «نحن أكثر الناس علماً ودراية وفهماً للإسلام؛ بل نحن أكثر الناس التصاقاً به، وتأملاً في معانيه وجوهره، أما الآخرون الذين وصفونا بأوصاف ونعوت مثل التكفير والكفر فلماذا لا يأتون إلينا أو نذهب إليهم في أي مكان ونحاورهم ويحاوروننا؟ أليست تلك أوامر الله وتعليمات رسوله ﷺ؟ أليست هٰذه المجادلة بالحسنىٰ، إنهم بمنطقهم هٰذا يحرضون علىٰ القتل، ويقدمون بالفتوىٰ والحجة علىٰ طبق من ذهب لأباطرة التطرف ليغتالونا، ويطلقوا نيران تطرفهم علينا». إنهم يدعون المعرفة بالدين الحنيف والقرآن الكريم، ويزعمون الحرص علىٰ الإسلام، وأقوالهم وأفعالهم وكتاباتهم كلها ضد الإسلام، ومع أعداء الإسلام: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة].



«هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»

ما إن أصدر القضاء الكويتي حكمه في قضية الصحيفة التي نشرت رسماً يسيء إلىٰ الذات الإلـٰهية حتىٰ انهالت احتجاجات الصحفيين والمحامين ضد حكم القضاء، وعُدّ هـٰذا الحكم كأنه انتهاك لحقوق الإنسان وحقوق الصحفيين المتعلقة بحرية التعبير عن الرأي، وبعثت لجنة حماية الصحفيين في نيويورك إلىٰ الحكومة الكويتية رسالة عبرت فيها عن احتجاجها علىٰ الحكم، وقالت: إن ذٰلك يمثل خرقاً لحقوق الصحفيين المعترف بها دولياً، والمتعلق بحرية التعبير عن الرأي، والبحث عن المعلومات وتلقيها ونشرها في أجهزة الإعلام وعبر الحدود حسبما نصت عليه الفقرة (١٩) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وطالبت اللجنة بإلغاء الحكم. وعلىٰ حسب الإعلان العالمي لحقوق الإنسان كما يدعيه هـٰؤلاء، والذي بنوا عليه اعتراضهم علىٰ الحكم، فقد فات لجنة حماية الصحفيين ما جاء في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية بتقيّدها بما يوجبه القانون من قيود باحترام حقوق الغير، ومراعاة مقتضيات الأمن والنظام العام والصحة والآداب العامة، فبموجب ذٰلك عندهم لا يجوز للصحفيين أن يعتدوا علىٰ حقوق المسلمين في عقيدتهم ومقدساتهم.

إنه يجب أن يعرف هـٰؤلاء أن الشعوب الإسلامية لا تقبل بأي حال من الأحوال أن يأتي أحد مهما يكن مركزه ومقامه أو وظيفته فيستهزئ بالدين، أو يمس الذات الإلـٰهية، أو يسيء إلىٰ الأنبياء والمرسلين؛ لأن هـٰذه الأمور تعد في حكم الإسلام إذا صدرت من مسلم ردة عن الإسلام، والغريب أن يجعل هـٰؤلاء هـٰذا الرسم الذي يمس الذات الإلـٰهية من قبيل حرية الرأي؛ أي رأي هـٰذا؟ وهل الاستهزاء بالرب والرسل من الرأي؟ أم من الكفر البواح الذي يثير

الفتن ويضر فاعله؟ كيف نمنع من يستهزئ بشخص أو يسبه، أو يستهزئ بملك أو رئيس ويقدم للمحاكمة ويسجن، ويترك من يستهزئ برب العالمين والأنبياء والمرسلين علىٰ أنه حرية شخصية؟!

إن ما يتعللون به من حرية الرأي هي تعليلات فاسدة، إذ هم بذٰلك يشجعون الفتنة والفوضىٰ والاضطرابات، لماذا لا ينصرف هٰؤلاء إلىٰ النقد البناء والهادف وما فيه نفع للشعوب وتوجيه الحكام ونصحهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإني أُذكّر هٰؤلاء بما في كتاب الله من آيات بيّنات عن المستهزئين بالدّين ومؤيِّديهم، قال تعالىٰ: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام:٧٠]، وقال سبحانه: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية]، وقال جل في علاه: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [النساء].

لا شك أن الذين تحركوا من الغيورين علىٰ الإسلام واحتسبوا عند الله ما عانوه في سبيل الله من أجل أن يرتدع أهل الباطل الذين أخذتهم العزّة بالإثم وما قدروا الله حقّ قدره ولا عظموه حق عظمته، يستحق أولئك الغيورون كل ثناء من كل مسلم، وأجرهم علىٰ الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف]. فيجب علىٰ كل مسلم أن يقف إلىٰ جانب الحق، ويتصدىٰ لأولئك الذين يحادّون الله ورسوله، ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى

ﭐلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج]. فهـٰؤلاء الذين سخّرهم الله ليدافعوا عن دينه ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر سيدافع الله عنهم كما دافعوا عن دينه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج].

إنه يجب علىٰ المؤمنين أن يقاطعوا هـٰؤلاء المستهزئين ويعادوهم لأنهم حادوا الله ورسوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

وهـٰؤلاء الذين يزعمون أنهم يدافعون عن حرية الرأي إنما يدافعون عن حرية الفساد، والذين يقولون النكات التي تسيء إلىٰ الدين هم المنافقون، وقدوتهم في ذٰلك عبد الله بن أُبي ابن سلول رأس المنافقين في المدينة، فعندما أحضر له ابنه مِنْ مَاءِ رَسُولِ الله ﷺ، وَقَالَ لَهُ: سَقَيْتُكَ وَضُوءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَعَلَّهُ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ. فَرَدَّ عَلَيْهِ: سَقَيْتَنِيْ بَوْلَ أُمِّكَ[1]. قال ذٰلك كنكتة سخيفة استهزاء بإيمان ابنه وحبه لرسول الله ﷺ، واستهزاء بالرسول ﷺ. وهـٰذا كحال الذي قال: إن آدم وحواء خرجا من الجنة لعدم دفع الإيجار؛ هو بلا شك يسير علىٰ نهج عبد الله بن أُبي الذي تولىٰ كبره في النفاق.

إنه لا يجوز ترويج الباطل وإشاعة الفاحشة، وتخذيل الأمة عن أهدافها السامية، والاستهزاء بشريعة الله تحت ذريعة حرية الرأي، قال ﷻ: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾

(١) «مصنف عبد الرزاق» (٦٦٢٧).

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلٗا ٦٢﴾ [الأحزاب].

إننا نقول لهـٰؤلاء المجادلين عن المنافقين ما قاله الله في كتابه: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩﴾ [النساء].



حُرِّيَّةُ الفِكْرِ لَا حُرِّيَّةُ الكُفْرِ

لا ريب أن الفكر من المواهب التي وهبها الله للإنسان، وجعله سبيلاً إلىٰ نور العلم والهداية والحكمة، وهو أثر من آثار العقل الإنساني وحرية إرادته واختياره، وبه يميز بين الفضائل والرذائل، وما يترتب علىٰ ذٰلك من جزاء ومسؤولية ومن شقاء وسعادة، لذٰلك كانت حرية الفكر من الحقوق الأساسية للإنسان، وهي تنبع من واجب التبصر والتفكر.

لقد دعا الإسلام دين الحنيفية السمحة إلىٰ التفكر واستخدام العقل، قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢١٩]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠]، وقال جل في علاه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم:٨]، وقال عز من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩١]، وقال سبحانه: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦]، وقال جل في علاه: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤]، وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد:٣]، وقال جل في علاه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]، وقال الله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١].

أما دعوته إلىٰ استخدام العقل فالآيات في ذٰلك كثيرة أيضاً، قال الله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة]، وقال جل وعز: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ [البقرة]، وقال جل في علاه: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ

بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال جلّ وعلا: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران:١١٨]، وقال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١]، وقال جل في علاه: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرًا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس]، وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف]، وقال سبحانه: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف:١٠٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [هود:٥١]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء]، وقال جل في علاه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات]، وقال جل في علاه: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة]، وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال]، وقال جل في علاه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس]، وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦] وغيرها من الآيات.

فهل لأحد بعد هٰذه الآيات في الدعوة إلىٰ استخدام الفكر والعقل أن يزعم أن الإسلام دين الحنيفية السمحة يحارب الفكر ويدعو إلىٰ إلغاء العقل؟ وهل حدث في تاريخ الإسلام ما حدث من اضطهاد فكري في أوروبا؟ وهل وجدت في تاريخ الإسلام محاكم كمحاكم التفتيش في أسبانيا؟

إنهم يفترون علىٰ الإسلام دين الحنيفية السمحة، ويقولون: أنه يرغم الناس علىٰ الدخول فيه بالإكراه. كيف يكون ذٰلك والله سبحانه في القرآن الكريم يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة]، ويقول سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل]، فالدعوة إلىٰ الدخول في دين الحنيفية السمحة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، وبعدها يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء، فالهداية والإضلال بيده سبحانه، لٰكن من دخل فيه ورضيه لنفسه ديناً فليس له بعد ذٰلك الحرية في الخروج منه، ففي دين الحنيفية السمحة حرية الفكر لا حرية الكفر. أجارنا الله وعافانا، ونعوذ به سبحانه من الخذلان، والزيغ بعد الرشاد، والضلالة بعد الهدىٰ.

إن التفكير الحر الهادف مطلب إسلامي عظيم، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ].

وإذا قلنا: إن حرية التعبير مكفولة فلا بد أن نعرف أنها مقيدة باحترام كرامة الأفراد، وبما لا يمسّ أمن الأمة وسلامتها، والنظام العام وحريّات الآخرين في التعبير عن آرائهم، كل ذٰلك بما يتوافق وشريعة الإسلام.

إن الإسلام دين الحنيفية السمحة يرفض ما تمارسه بعض الأنظمة والمنظمات من الدعاية الرخيصة والتضليل وتزويق الكلام، وتضخيم الألفاظ، وتخويف الناس وتهديدهم، واحتكار الكلمة والرأي، والادعاء بأنهم وحدهم علىٰ الحق وغيرهم علىٰ الباطل، وأنهم هم المبدعون الوحيدون، ويرفض ما يمارسه البعض في الصحافة وأجهزة الإعلام الأخرىٰ من الهجوم علىٰ المخالفين وانتقاصهم، وما يقوم به أدعياء الأدب والسياسة من مهاترات في الصحف والنشرات ومن سخرية واحتقار للآخرين، وقد علّمنا الإسلام عفة اللسان قال تعالىٰ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة:٨٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡلَآ

إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور:١٦]، وقال جل في علاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات]. وعلّمنا ألّا نتغاضىٰ عن قول كلمة الحق محاباة للأقوياء أو الأقرباء، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾ [الأنعام:١٥٢]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [المائدة:٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٠]، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾ [البقرة:٢٨٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾ [المائدة:١٠٦]، وقال جل في علاه: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ﴾ [المائدة:١٠٨]، وقال جل وعز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ [النساء].

فلا يكون الناس قوامين بالقسط شهداء لله إلا إذا أعطوا حق التعبير عما يعتقدون أنه الحق، وعندما يتحقّق ذٰلك تختفي سوق النفاق والمنافقين، وينكشف الدجّالون والمجرمون المتستّرون الذين يتاجرون بمصائر الناس، ويعتدون علىٰ حقوق الضعفاء، فإذا أقام الناس شهادتهم لوجه الله وحده لم يتأثروا بهوىٰ، ولم يحابوا قريباً ولا غنياً ولا فقيراً، عند ذٰلك يسود العدل في المجتمع وتقوم الحياة علىٰ وجهها الصحيح الذي يرضاه الله.

إننا نلاحظ في الآية الكريمة الآنفة الذكر أنها تحذّر من الانحياز مهما كان المنحاز إليه، بل يجب أن يكون الانحياز إلىٰ الحق وحده، وقد نصت الآية علىٰ الغني والفقير حتىٰ لا ينحاز أحد في قوله أو فعله للغني لغناه، أو للفقير لفقره، فعندما يقول الاشتراكيون أنهم منحازون إلىٰ جانب الفقراء، ويقول الرأسماليون أنهم منحازون إلىٰ جانب الأغنياء، تختل موازين المجتمع، وتعمّ الفتنة، وينتشر الفساد في الأرض، ولٰكن إقامة ميزان العدل، والاتجاه

إلىٰ إقرار الحق، وإعطاء كل ذي حق حقه، ومنع الظلم والتعدي علىٰ حقوق الغير هو الذي سيحقق السعادة للبشر، وذٰلك ما أمر به الإسلام، وكان المسلمون في العصر الأول يقولون كلمة الحق ولا يخافون لومة لائم، ويعبرون ما يجيش في خواطرهم، ويخاطبون أكبر رأس في الدولة، وينتقدونه إذا دعت الحال للنقد.

بُعِثَ إِلَىٰ عُمرَ رضي الله عنه بِحُلَلٍ فَقَسَمَهَا، فأصاب كُلَّ رَجُلٍ ثَوبٌ، فَصَعِدَ عَلَىٰ المِنبرِ وَعَلَيه حُلَّةٌ، ـ وَالحُلَّةُ ثَوبَانِ ـ، فَقَال: أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا تَسْتَمِعُون؟ قَالَ سَلمَانُ الفَارِسِيّ رضي الله عنه: لَا نَسْمَعُ، فَقَالَ لَهُ عُمرُ: وَلِمَ يَا أَبَا عَبْدِ الله؟ قَالَ: لِأَنَّكَ قَسَمْتَ عَلَيْنَا ثَوباً ثَوباً وَعَلَيكَ حُلَّةٌ. فَقَالَ: لَا تَعْجَلْ. ثُمَّ نَادَىٰ: يَا أَبَا عَبْدِ الله! فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ! قَالَ: لَبَّيْكَ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ. قَالَ: نَشَدْتُكَ بِاللهِ! الثَّوبَ الَّذِي اتَّزَرْتُ بِهِ هُوَ ثَوبُكَ. قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ سَلْمَانُ: الآنَ فَقُلْ نَسْمَعُ»[1].

وعندما جاءت الوفود إلىٰ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كان من بينهم امرأة تدعىٰ بكارة الهلالية، وكانت شاعرة، ومن أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه. دخلت بكارة الهلالية علىٰ معاوية، وكانت قد كبرت وغشي علىٰ بصرها، وضعفت قوتها، فسلمت وجلست، فرد عليها معاوية السلام، وقال لها: كيف أنت يا خالة؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين، قال: غَيَّرَكِ الدهْرُ، قالت: هو كذا؟ من عاش كبر، ومن مات قُبِر، فذكرها بعض الحاضرين قولها:

أَتَرَىٰ ابْنَ هِنْدٍ لِلْخِلَافَةِ مَالِكاً ... هَيْهَاتَ ذَاكَ وَإِنْ أَرَادَ بَعِيْدُ

وقولها:

قَدْ كُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ أَمُوْتَ وَلَا أَرَىٰ ... فَوقَ المَنَابِرِ مِنْ أُمَيَّةَ خَاطِباً[2]

إن مثل هٰذا كثير في تاريخ الإسلام يدل علىٰ الحرية التي كان يتمتع بها الناس في العصور الزاهرة للإسلام، وهٰذا هو الذي جاء به دين الحنيفية السمحة.

---

(١) «محض الصواب في فضائل ابن الخطاب» لابن عبد الهادي المبرّد (٢/ ٥٧٩).
(٢) «أخبار الوافدات من النساء علىٰ معاوية» للضبي (ص٢٣).

المراجع والمصادر

- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، طبعة دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، المحقق: مصطفىٰ شيخ مصطفىٰ ومدثر سندس، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- **الأحكام السلطانية**، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الناشر: مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
- **أخبار القضاة**، لأَبي بكرٍ محمّد بن خلفِ بنِ حيَّان بنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، المحقق: صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفىٰ المراغي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرىٰ، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفىٰ محمد، الطبعة الأولىٰ، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م.
- **أخبار الوافدات من النساء علىٰ معاوية بن أبي سفيان**، للعباس بن بكار الضبي، تحقيق: سينة الشهابي، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- **الأدب المفرد**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- **الأساس في التفسير**، لسعيد حوىٰ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

- **الأعلام**، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزِّرِكْلِي، طبعة دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.
- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ.
- **الألفية في علوم الحديث**، لعبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي، صححه وشرحه: أحمد محمد شاكر، طبعة المكتبة العلمية.
- **البداية والنهاية**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير**، لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: مصطفىٰ أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
- **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذهن والهاجس**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية.
- **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، لابن القطان الفاسي أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك، تحقيق: الحسين آيت سعيد، الناشر: دار طيبة، الرياض، سنة النشر ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضىٰ الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- **تاريخ ابن الوردي**، لزين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، سنة النشر ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار النشر: دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، سنة النشر ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- **تاريخ الأمم والملوك**، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧هـ.

- **تاريخ الخلفاء** ، لعبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: مطبعة السعادة ـ مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.
- **تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، طبعة دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٩٥م.
- **التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل**، لبكر بن عبد الله أبو زيد، طبعة دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ.
- **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، لبرهان الدين أبي الفداء إبراهيم بن محمد بن فرحون اليعمري، خرّج أحاديثه وعلّق عليه وكتب حواشيه: جمال مرعشلي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
- **تتمة المختصر في أخبار البشر**، لزين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، سنة النشر ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، لعبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- **تفسير ابن أبي حاتم**، لأبي محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار النشر: المكتبة العصرية، صيدا ـ لبنان.
- **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٨٩م.
- **التمثيل والمحاضرة**، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، دراسة وتحقيق: زهية سعدو، رسالة دكتوراه جامعة الجزائر ـ كلية الآداب واللغات، سنة ٢٠٠٥م ـ ٢٠٠٦م.
- **تهذيب الكمال**، ليوسف بن الزكي عبد الرحمٰن أبي الحجاج المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- **جامع البيان في تأويل القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- **جامع العلوم والحكم**، لأبي الفرج زين الدين عبد الرحمٰن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
- **الدراية في تخريج أحاديث الهداية**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- **ذخيرة الحفاظ**، لمحمد بن طاهر المقدسي، تحقيق: عبد الرحمٰن الفريوائي، الناشر: دار السلف، الرياض، سنة النشر ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- **رفع اليدين في الصلاة**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: أحمد الشريف، الناشر: دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لمحمود الألوسي أبي الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت، سنة النشر ١٤٠٥هـ.
- **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

- **سبل السلام**، لمحمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، الناشر: مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي، الطبعة الرابعة، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م.
- **السلسلة الصحيحة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.
- **السلسلة الضعيفة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- **السنة**، لأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠هـ.
- **سنن ابن ماجه**، لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار الفكر، بيروت.
- **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
- **سنن الترمذي**، لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **سنن الدارقطني**، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، تحقيق: عبد الله هاشم يماني المدني، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.
- **سنن الدارمي**، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمـٰن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧هـ.
- **السنن الكبرىٰ**، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
- **سنن النسائي الكبرىٰ**، لأبي عبد الرحمـٰن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
- **السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية**، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الناشر: دار المعرفة.
- **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط وآخرون، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

- **السيرة النبوية**، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: دار الجيل، بيروت، سنة النشر ١٤١١هـ.
- **شرح السنة**، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، دار النشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- **شرح العقيدة الطحاوية**، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- **شرح نهج البلاغة**، لأبي حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.
- **شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.
- **الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**، لمحمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي أبي عيسىٰ، تحقيق: سيد عباس الجليمي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، سنة النشر ١٤١٢هـ.
- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- **صحيح الترغيب والترهيب**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.
- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، لمحمد ناصر الدين الألباني، أشرف علىٰ طبعه زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- **صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، لمحمد ناصر الدين الألباني، أشرف علىٰ طبعه زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

- **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، لعبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي، تحقيق: خليل الميس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ.
- **الفتاوىٰ الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان**، للشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، الناشر: دار الفكر، سنة النشر ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تعليق: عبد الرحمٰن بن ناصر البراك، اعتنىٰ به أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، طبعة دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي القنوجي البخاري، قدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبعة المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٠م.
- **فتوح البلدان**، لأحمد بن يحيىٰ بن جابر بن داود البلاذري، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ـ ٤ شارع مصطفىٰ كامل.
- **الفردوس بمأثور الخطاب**، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، سنة النشر: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- **الفقه الإسلامي وأدلته**، لوهبة الزحيلي، طبعة دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمٰن يحيىٰ المعلمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- **القرآن الكريم**
- **قصص من التاريخ**، لعلي الطنطاوي، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٣٩هـ.
- **الكامل في التاريخ**، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي الجزء الأول والثاني والثالث ثم بقية الأجزاء راجعها وصححها: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

- **الكشكول**، لبهاء الدين محمد بن حسين العاملي، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
- **اللباب في علوم الكتاب**، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- **مجمع الزوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- **مجموع الفتاوىٰ**، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: أنور الباز ـ عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- **مجموع الفتاوىٰ**، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف علىٰ جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر الناشر: دار القاسم، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.
- **المجموع شرح المهذب**، للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، طبعة دار الفكر.
- **محض الصواب في فضائل ابن الخطاب**، ليوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد، المحقق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- **مختصر الشمائل المحمدية**، للترمذي، اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتبة الإسلامية ـ عمان ـ الأردن.
- **المستدرك علىٰ الصحيحين**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
- **مسند أبي عوانة**، لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، الناشر: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
- **مسند الشاميين**، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

- **مسند الطيالسي**، لأبي داود سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- **المسند**، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، الناشر: مؤسسة قرطبة ـ القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.
- **مشكاة المصابيح**، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- **المصنف**، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- **المصنف**، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق: محمد عوامة، طبعة دار القبلة.
- **معالم التنزيل لمحيي السنة**، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين ـ القاهرة، ١٤١٥هـ.
- **المعجم الصغير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت ـ عمّان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- **المعجم الكبير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
- **معرفة السنن والآثار**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثق أصوله وخرج أحاديثه وقارن مسائله وصنع فهارسه وعلق عليه: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولىٰ، في القاهرة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
- **المغني عن حمل الأسفار**، لأبي الفضل الحافظ: عبد الرحيم العراقي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، الناشر: مكتبة طبرية، الرياض، سنة النشر ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

- **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.
- **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، تحقيق: عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، سنة النشر ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
- **الموطأ**، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، مصر.

الفهرس

الموضوع	الصحفة



التعريف بالمؤلف

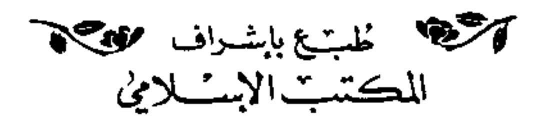
- القاضي عبد القادر بن محمد العماري.
- من مواليد سنة ١٩٣٥م.
- تلقىٰ العلوم الشرعية والقانونية عن جماعة من العلماء والمتخصصين في الشريعة والقانون.
- درس في كلية الحقوق ـ قسم الشريعة ـ بجامعة الخرطوم، وتخرج منها سنة ١٩٥٧م.
- عمل قاضياً في المحاكم الشرعية في سنة ١٩٦٩م بدولة قطر، وتدرج في المناصب إلىٰ أن وصل إلىٰ نائب رئيس محكمة الاستئناف بالمحاكم الشرعية، وأمضىٰ أكثر من ثلاثة عقود في القضاء الشرعي بقطر.
- شارك في مجموعة من المؤتمرات والمجامع الفقهية، ومنها مجمع الفقه الإسلامي بجدة التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
- يحمل عضوية في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- يشغل عضواً في هيئة الرقابة الشرعية بمصرف قطر الإسلامي، وبنك قطر الدولي الإسلامي.
- له عدة مقالات نشرت في الجرائد القطرية، ومجموعة من الجرائد والمجلات العربية.

له مجموعةٌ من المؤلفات المطبوعة:

١ ـ حوادث السير، بحث قدمه في الدورة الثامنة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، قامت بطباعته جمعية قطر الخيرية. طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة.

٢ ـ وسقطت الماركسية، طبعة دار الثقافة ـ الدوحة. الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣ ـ وأحل الله البيع وحرم الربا، بحوث في قضايا مصرفية، قام بطباعته بنك قطر الدولي الإسلامي. طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة، ٢٠٠٥م.
٤ ـ الحق الإنساني والعنف الدولي، بحث قدمه في الدورة الرابعة عشرة: ١١/١/٢٠٠٣ ـ ١٦/١/٢٠٠٣م لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، طبعته جمعية الهلال الأحمر القطري، ضمن سلسلة: نحو ثقافة إنسانية: ٥. الطبعة الأولىٰ.
٥ ـ لن يصلح أمر هـٰذه الأمة إلا بما صلح به أولها، طبعة مطابع قطر الوطنية.
٦ ـ بيع الوفاء والتورق والعينة، قام بطباعته مصرف قطر الإسلامي. طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة.
٧ ـ من أجل الإسلام، ردود علىٰ كتابات عدد من المؤلفين والكتَّاب. الناشر: دار الضياء ـ الأردن ـ عمَّان.
٨ ـ منحة الرحمـٰن في شهر رمضان، طبعة دار البشائر الإسلامية، لبنان ـ بيروت. الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
٩ ـ المفيد في الزواج السعيد، طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
١٠ ـ تأملات قرآنية، نشر دار الثقافة، الدوحة ـ قطر، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
١١ ـ شقائق الرجال، نشر دار الثقافة، الدوحة ـ قطر، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
١٢ ـ شخصيات مضيئة، علماء.. دعاة.. أصدقاء، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
١٣ ـ عندما يدمّر الإنسان نفسه، الخمر.. المخدرات.. الدخان، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
١٤ ـ فتاوىٰ المسلم المعاصر، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
١٥ ـ فلسطين بين الحق المغصوب والحل المطلوب، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.



بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١

هاتف : ٤٥٦٢٨٠ (٠٠٩٦١٥)

Web Site: www.almaktab-alislami.com

E-Mail: islamic_of@almaktab-alislami.com